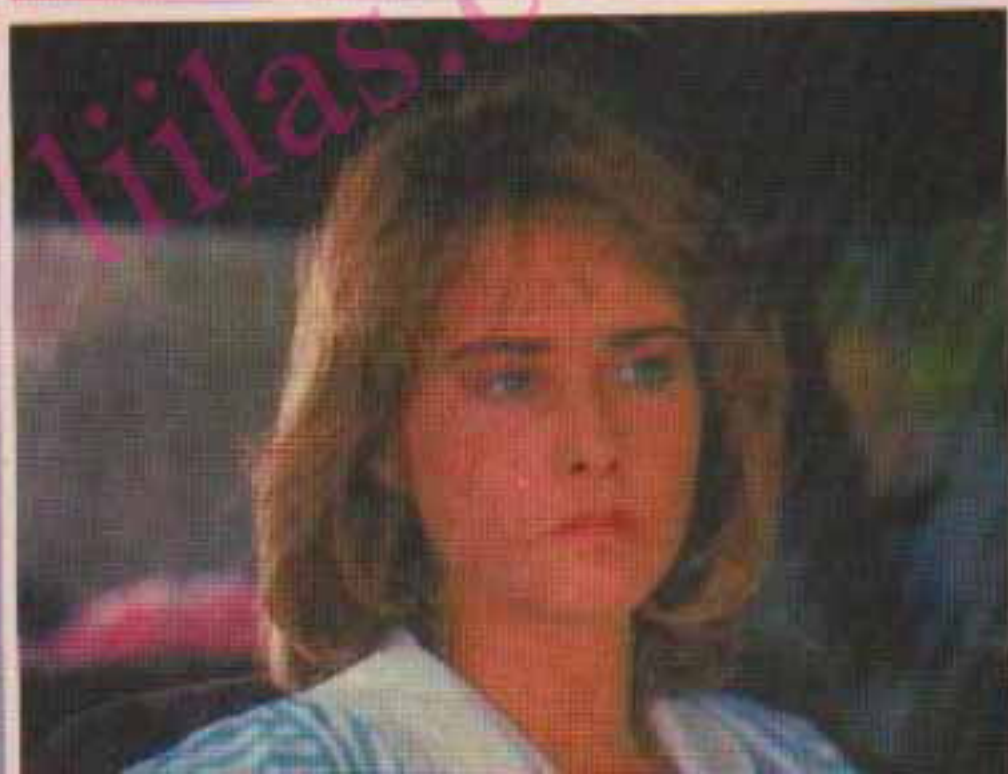




فراشة المحبة

## عين نان في الأسر



# مجلة روايات احلام

## قراءة المحبة

### عينان في الأسر

« بعض الناس، يا أنسة، يرون ما يرغبون في رؤيته فقط. وأنت حاولت تقليد الرجال لكنك تحولت إلى فتاة أنانية سيئة انطباع. لن تجد من يتزوجها بسبب لسانها السيئ.

« أنت تتهمني بالأنانية، سيدي الكونت، وسأثبت أنك منافق كاذب. أنا مستعدة للزواج ولكن بشرط أن توافق على أن تكون أنت العريس...»

كان على اليكس أن تفكر كثيراً قبل أن ترمي تحديها في وجه النمر، لكن لسانها جنى عليها وما عاد ينفعها الندم...

ليبيا	مصراوي	الإمارات	عينان ١٥٠٠ ل.ل.
اليمن	الغرب ١٥ ل.د.	قطر ٢٠ ل.ر.	سوريا ٥٠ ل.س.
السودان	تونس ٥ ل.د.	البحرين ٢٠ ل.ف.	الأردن ١ ل.
العراق	عمان ٢٠ ل.ب.	السعودية ٧ ل.ر.	الكويت ٥٠ ل.ف.

## فراشة المحبة

### ١ - فتاة العقل

- اليكس.. إذا لم تقرري الزواج قريباً، اقسم أن ألتحق بالدير، أو أعزل نفسي حتى أموت.. أو..

- أو اتخذت التمثيل مهنة؟ إن من قال إن الدنيا مسرح كبير، كان دون شك يفكر في أمثالك!

قست أسارير ساشا المتوسلة ثم اعتلتها تكشيرة متجهمة، فيها كره لأختها الكبرى:

- «بابا» يقول دائماً إنك يجب أن تكوني صبيّاً.. لكن مهما حاولت جاهدة فلن تعوضني عنه الضي الذي لم يرزق به.

كان ينقص ساشا الإدراك السريع، فهي غارقة في عالمها الأناني إلى حد يجعلها لا تتأثر بمعاني تعليقاتها.

التفتت الكسندرا إلى شقيقتها، فسطعت أشعة الشمس المشرقة المظلة من نافذة القصر المبني على قمة صخرة على بحر إيجه، وهب هواء مشبع برذاذ البحر فحرك شعرها البني الأصهب وأضاف لمعاناً إلى العينين الزمرديتين اللتين كشفتتا في تلك اللحظة عن قساوة الجوهرة، وهما تقعان على وجه اختها.

عندما تقدمت إلى الأمام لم يستطع حتى الغضب نزع الرشاقة من جسدها الذي يبدو للوهلة الأولى صبيانياً نحيلاً، لكن سرعان ما

لمعتقداته، وكلاهما يتأرجح بسرعة مع العاطفة، لكنهما رغم ذلك يمتلكان نزعاً واقعيةً ماديةً ونوعاً من التصميم كان العامل الأساسي وراء وصول نيقولاس كورديس إلى أن يصبح أغنى الصناعيين في أميركا، وأميركا بلد ليس كريماً مع المغلسين والمعمدين من المهاجرين.

- كيف نلحمين إلى أن ما جذب قيتار هو ثروة «بابا» -  
أصرف أنه يحبني كما أحبه بقوة وإخلاصاً.. ونحن نعيش بانتظار ذلك اليوم الذي ستزوج فيه.. أما أنت فالشقيقة العديمة القلب، الخالية من الشفقة الأنانية.. التي تبقينا مفرقين!  
هزت اليكسندرا كتفيها بغير اكتراث:

- كلام هراء.  
وعادت إلى النافذة، فضربت ساشا قدمها الصغيرة فوق السجاد صالحة:

- ليس بالهراء! تعلمين جيداً أن التقاليد في عائلة أبي تقتضي تزويج البنت الكبرى أولاً.. وبابا يصبر على هذا التقليد. لذا، وهو السعيد بخطوئي لقيتار، لن يقل أن تحدد موعد الزفاف حتى تعلن خطوبتك... أوه.. إنه عطوف!  
وضحكت بحدة، تفتح ذراعها بطريقة مسرحية تتم عن اليأس على الطريقة الإغريقية.

- إنه يتوسل إلينا أن نصبر.. «انتظرا قليلاً يا ولدي»  
«اسارطة... بلد الأبطال الغني بالرجال الجذابين.. فعاجلاً أم أجلاً ستجد اليكس لنفسها...»  
صمتت.. لكنها تأخرت عن لجم لسانها، فنظرت إلى

يكشف الناظر خطأ اعتقاده وذلك حالما يلاحظ ثوبها الحريري الملتصق بحنايا جسدها، والمظهر استدارة ساقها ونحافة خصرها وارتفاع صدرها.. قالت ساخرة، تبرز عن عمد لهجة اختها الإنكليزية ذات اللكنة الثقيلة:

- عزيزتي ساشا.. لقد حققت ما تريد من طموح.. لقد جعلت «بابا» يتجشم عناء تدبير زواج بينك وبين رجل يوناني.. بعد مفاوضات جرت خلف الستار بين العائلتين المحترمتين وبعد لقاءات عديدة جرت بينك وبين العريس الموعود. ولا أنسى أنني انزعجت من وجودي كرقب عليكما. أعتقد الآن أن العريس الموعود بهنيء نفسه لأنه أصبح على قاب قوسين أو أدنى من ملايين عائلة كورديس. فلماذا لا يتظر لسانك عسلاً، ولماذا لا تغلفين مخالبك الحادة بالقطعة؟  
هبت ساشا السوداء الشعر والعينين واقفة:

- نظهريين الأمر خبيثاً...! لم يكن إطلاقاً كما تصوريته.. أنت تعرفين أننا انجذبنا إلى بعضنا بعضاً منذ النظرة الأولى.

- وهذه مكافأة إضافية له.. لأنه من المؤكد كان سيتزوجك ولو كنت مقوسة الساقين نائمة الأسنان. بل حتى لو كنت تنظرين إليه من خلال نظارة سميقة.

وصل طبع ساشا البركاني، إلى ذروة الانفجار.. فحدقت فيها من علو قامتها المديدة.. فاعترفت اليكس للمرة المليون بالشابه القائم بين شقيقتها الصغرى وبين والدهما اليوناني. فكلاهما أسمر، متجبر الطبيعة، طافحاً بالولاء المتشدد

يك نقطة دم يونانية. أنت كأمي تماماً، ورثت عنها شعرها الأصهب الأحمر وبشرتها البيضاء وطريقتها الأنيقة في الكلام ورشاققتها واقتصادها في تحركها، وفوق ذلك كله رجاحة عقلها المنطقي. أتذكرين أنها كانت ترفض أن تقرأ لنا القصص الخرافية حين كنا طفلين، وتصر على قراءة مقالات مناسبة من الصحف؟ كانت تقول إنها تريدنا، حتى ونحن في المهد، أن نكون على علم كامل بشؤون البلاد، حتى نعرف كل شيء عن أميركا والحياة فيها. اعتقد أنها كانت تخشى أن نتجرف وراء الرباط العائلي اليوناني الضيق، الذي كان يحيط بنا.. كانت قراءتها تجعلني أنام.. أما أنت يا اليكس فكنت تشربين كل كلمة، أذكر مناقشاتكما وحواراتكما اليومية.. وكانت «ماما»، سعيدة بما اخترت من مهنة أما أبوك فحار فيه، وما أشد ما كان عليه سرورها وهي ترى في العائلة طيبة.

نظرت اليكس الى أختها وقررت أن تكون لطيفة فابتسمت:  
- كاذبة.. أنت وبابا لم تكونا حائرين فقط، بل مدهورين.  
قولي الحقيقة! ألم تريا أنني اخترت مهنة لا تليق بأنثى؟  
أبعدت ساشا نظرها:

- حسناً.. قد تليق هذه المهنة بأميركية لا يونانية.  
عاد اللعمان التحديري الى عيني اليكسترا:  
- بالضبط! وأريدكما أن تتذكرا أنني قبل كل شيء وأهم من أي شيء أميركية. قد تفضلين أن تكوني يونانية لكن لا تضغطي عليّ لأصبح مثلك.. والآن هل تفضلين عليّ بمئة فتحريري هذه الرسالة الى البابا.. وأرجوك، قولي له بكلمات صريحة

شقيقتها مدهورة من زلة لسانها وانتظرت بصمت، مستعدة لمواجهة هجوم شقيقتها الوشيك.

- إذن!

كان هسيس صوت اليكسترا مخيفاً أكثر من الصراخ.

- فهمت الآن سبب إصرار «بابا» على انضمامي إليك في هذا المكان..! فأتانا أيضاً سأعرض للبيع في أسواق إسبارطة.. سأعرض على أنني جائزة ثرية أمام كل أنوف النبلاء المفلسين في المدينة، اللذين يقضهم المال الذي يحافظون به على مستواهم اللائق من العيش، وعلى قصورهم الأيلة للسقوط!

صاحت ساشا باحتجاج:

- لا يا اليكس.. كل ما يريده لك بابا السعادة، سعادة كالتني أشعر بها أنا مع فيثار أو سعادة كالتني شعر بها مع «ماما»..

- ماما.. ليتها مازالت على قيد الحياة. فلو كانت بيننا لتناصرت كرهفي للعبادات اليونانية البالية.

أحست ساشا بالارتياح لأن مسار العاصفة تغير واجتازها. فهمت:

- أنت دون شك تفنقدينها. كنتما متشابهتين، ولأنني أشبه أبي أفهم مشاعرك وأتعاطف معها. حين ماتت «ماما» كانت خسارتي كبيرة، إلا أن خسارتك كانت أكبر..

لوت رأسها فوق كتفها وقالت بجنين:

- أنت أميركية يا اليكس.. لا يمكن لأحد أن يصدق أن

سمعت والدها يتمتم بالاعجاب وهو يخطو أمام القفلا الى ساحة مرصوفة واسعة، وجودها يدل بحسب رأيه على عراققة وثراء مالكةا الذي لا شك في أن أسلافه كانوا نبلاء أثرياء.

أشاحت بصرها عن المنظر لتسأل:

- من هو مضيفنا على أية حال.. لا أظنه كان موجوداً حين وصلنا؟

سارعت ساشا تقول، إذ يبدو أن هذا ما كانت تتوق لتخوض فيه:

- إنه النبيل الكونت تيغاروس بيرناكس.. ابن خال فيتار. فكما تعلمين والدة فيتار ترملت عن عمر شاب.. والد الكونت، وهو شقيقها الأكبر، وضعهما تحت جناحيه. وحين مات وضع الكونت الحالي، مسؤوليتهما على عاتقه.. وهو الآن رأس العائلة، وبما أن منزل فيتار صغير لا يتسع لاستقبالنا فيه فقد أصر الكونت على أن يستضيفنا عنده.

- وكأننا في عالم الاقطاعيين! كنت أفضل أن نسكن مع الجدة تينا كورديس، إذ من السخف أن نفرض أنفسنا على غريب بينما جدتنا تقيم على مقربة من هذا المكان. ألا توافقيني الرأي؟

تمتمت ساشا، لأنها لم تعد تطيق نظرة اختها الممعة:

- نحن أنا وبابا وجدنا أن منزل جدتي لن يفي بالمراد. فمن المتوقع أن نرد الدعوة الموجهة إلينا من قبل عائلة فيتار.. وفي ظروفنا الحالية لن يكون غريباً أن ندعوهم الى فندق. بينما لو أقمنا مع الجدة تينا لاضطررنا لاستقبالهم في منزل العائلة.

مباشرة بسيطة حتى يقتنع لآخر مرة أنني، وتحت أي ظروف من الظروف، لن أنظر بامتنان الى زوج يوناني.. أو الى أي زوج على الاطلاق. فالزواج بالنسبة لي ممنوع.. فلا مكان لرجل في مستقبل اخترته لنفسى.

صاحت ساشا وكأنها تولول:

- لكن اليكس.. هذا يعني أنني وفيتار لن نتزوج!

- لا يعني هذا شيئاً.. لو أن السيد بروماليس رجل بكل ما في الكلمة من معنى لتزوجك بدون «الدوطة» التي وعده بها بابا.. في الواقع أنا أقدم لك معروفاً بجعل هذا الرجل موضع الاختبار.. ردة فعله ستساعدك على معرفته.

حين صممت ساشا عابسة، عادت اليكس الى النافذة، لتأمل المنظر في الخارج.. كان الشاطئ الممتد على طول الساحل المواجه لجزيرة «كثيرا»، يحتوي على عدة أماكن مميزة بجمالها منها القيلات المنتشرة حولها.. والقفلا التي استضيفوا فيها حالياً هي أكثر القيلات سحراً ورونقاً. وهذه القيلات جميعها كبيرة وقد تساءلت مراراً: لماذا لا يهتم اليونانيون بالمساحات الواسعة علماً بأن ساحلهم كبير وممتد؟ ولماذا همهم فقط التفاخر على بعضهم بعضاً وذلك بالعرض أمام القاصي والداني زخارف نجاحهم..

تفحص أنفها المستقيم نفوراً.. لقد وصلت مع أبيها وأختها الى اسبارطة منذ بضع ساعات فقط.. ولم تتح لها الفرصة بعد لتأمل القفلا التي سيقومون فيها خلال زيارتهم.. لكن حين وصولهم، وخلال ترجلهم من السيارة التي أقلتهم من المطار،

مشاعرها.. فلقد ذهب بابا إليها اليوم ليشرح لها الموقف.  
وارتدت على عقبيها نحو الباب المشترك بين غرفتيهما.  
لكن صوت اليكس المشيح بالاتهام بلغ أذنيها قبل أن تخطو إلى  
غرفتها:

- لا يكفي المتكبر الحقيقي أبداً.. يا ساشا.. فهو يبقى  
شامخاً في عليائه وكلما ارتفع وعلا كلما وجد الناس صغاراً في  
الاسفل! فاحذري وأنت على قممك الشامخة المتغطسة،  
المعزولة عن دفة التواضع والانسانية، من الوقوع لأنك لن  
تجدي من يتفذك أو يلتفتك.

- لن تكوني أنت المتقلدة بالطبع لأنك محنية الظهر من جراء  
ما تحملين من توافه على كتفيك.

راحت اليكس وحيدة مع أفكارها الحارة، تلزع الغرفة دون  
أن تنظر إلى ما حولها من ديكور، كان ليهيج نفسها في حالة  
الصفاء الفكري.

لكن الاهانة التي وجهت الي جدها أثرت بها عميقاً. فهي  
قبل أي شيء آخر مخلصه لعائلتها ولأصدقائها.

أحست بالاعياء والسقم والخجل من تصرفات ساشا  
ووالدها حتى رغبت في توظيف حقيقتها للرحيل. لكن العائلة  
اليونانية ستعتبر هذا التصرف إهانة كبرى.. لذلك، ورغم  
غضبها الشديد من شقيقتها، لا تستطيع أن تحطم سعادتها. فبعد  
أقل من ساعة مستعشى العائلتان معاً في الفيلا.. وما أن ينتهي  
هذا، حتى تستطيع ربما الاختفاء عن الانظار، مستغلة الفرصة  
لتزور الجدة أياماً تسافر بعدها بهدوء إلى أميركا.

- هذا طبيعي، وهو الحل الأمثل!  
- لكن تينا طاعنة في السن ولا يجب ازعاجها.  
- كلام هراء.. إنها تحب الضيوف، كما تعرفان جيداً.  
- بيتها صغير وهو بعيد قليلاً..

ثارت روح اليكس الصادقة، ضد هذه المراوغة الكاذبة:

- أيتها المتكبرة اللعينة..! ما تعنيه حقاً، أن منزل الجدة  
ليس فخماً بما فيه الكفاية.. ما ستطهوه من طعام بكل فخر  
لضيوفكم سيكون بسيطاً متواضعاً بالنسبة لاذواق علية القوم من  
أصدقائك. يا إلهي كم أحجل من الطريقة التي يفكر فيها  
والدي. كيف له ذلك وهو من افتخر دائماً بعصاميته.. إن  
تفكيره هذا يدل على أن الكبرياء سيطرت عليه حتى بات يفضل  
نسيان الأم التي ضحت بكل شيء في سبيل تربية ستة أبناء،  
اعتمدت في رعايتهم على ما يتجه صياد بسيطاً

قفزت ساشا كأنما تتحدى غضب اختها:

- أحب جدتي بمقدار ما تحبها، وبابا يحبها أكثر مما  
نحبها. لكنه واقعي ويرى أنها لا تليق بالمجتمع الذي ندور في  
فلكه. قد تقولين إننا متكبران لكنك أنت فعلاً المتكبرة لأنك لم  
تعرفي الفقر في حياتك.. فلماذا تدعين النسب لمن عرف  
الفقر؟ تينا كورديس تعيش هانئة.. بابا يهتم بإعالتها. لكنها  
ترفض أن تترك منزلها، علماً أنه عرض عليها مراراً شراء منزل  
أكبر في منطقة أرقي من قرية الصيادين تلك. إنها عنيدة! وبما  
أنها أصرت على التمسك بطريقة عيشها القديمة فلا يحق لها  
الاعتراض على نمسكتنا بطريقة عيشنا. ولا تقلقي بشأن جرح

- تقصد امرأة كجانيت؟

وتعالت قهقهة، لكن الرد الباتر دل على أن فينار تجاوز  
بتعليقه ذلك حده:

- بالطبع لا..! فليس لاسم جانيت مكان في حديثنا!  
وقبل أن يعتلر فينار، هربت اليكس وأذناها حمران،  
والوان المخطر تكاد تقفز من وجتها، ثم لما وصلت الى غرفتها  
أسندت جسدها الى الباب، تقاوم غضباً جامحاً ينتفض منه كل  
عصب في جسدها.

وقالت تكلم نفسها بصوت خفيض أشبه بفحيح أفعى:

- حيوان! متعجرف! وحش متكبر!

وشدت قبضتها يديها متمنية الدفاع عن نفسها جسدياً ضد  
سخرته، غاضبة غضباً شديداً لأنها موضوع كلام منحرف لم  
يتساهل في أن يطبقه على فتاة من جنسه.. جانيت.. كائناً من  
تكون بإمكانها التمتع به!

\*\*\*

قررت أن تعلم والمدها بقرارها فوراً.. فهو دون شك قد  
عاد الآن من زيارة الجدة. لكنها لم تجده في غرفته، وهذا يعني  
أنه في مكان ما من الطابق الأرضي.

التقطت أذنها عدة أصوات، فالتجته إليها كما يتجه كلب  
الصيد وراء رائحة الطريدة. كانت الأصوات تنأى إليها من  
وراء باب خشبي سميك ترك مفتوحاً قليلاً فاستطاعت أن تميز  
صوت فينار يقول:

- الشقيقة الكبرى.. بغیضة.. كما وصفتها لي ساشا. فمع  
أنها تعلم أن والدها لن يسمح لنا بالزواج حتى تعلن خطوبتها،  
إلا أنها ترفض بكل صراحة أن تتخلى عن مستقبلها المهني في  
سبيل الزواج.

سأل صوت رجولي فيه هزه جعل أسنان اليكس تصر حنقاً:

- هكذا إذن؟ وما هو هذا المستقبل الذي تريده الأنسة؟

- تأمل أن تصبح طبيبة. وهدفها هذا يحتاج الى أربع  
سنوات أخرى، لأنها مازالت في الجامعة تخصص.. هل  
تتصور؟ علينا أنا وساشا الانتظار أربع سنوات أخرى حتى يوافق  
هذا رغبة هذه الأخت المهووسة!

- أمر غير طبيعي.. يبدو لي أن هناك سبباً أبسط لتمسك  
هذه الأخت بالبقاء عزباء. أتكون صدمة مُتت بها لأن أي رجل  
لم يتقدم طالباً يدها؟ أنا مثلاً سأتردد كثيراً قبل أن أطلب من  
طبيبة مشاركتي الفرائش.. إذ لن يقترب من هذا النوع من النساء  
إلا قلة نادرة من الرجال. ألا تفضل أن تفتش عوضاً عن ذلك  
عن كتلة أنوثة غارقة بالحيوية راغبة؟



صدرت شهقة دهشة، ثم ثانية فشالسة، قبل أن يختفي الحديث ليحل محله الصمت المطبق. التفت الظهور الأربعة معاً لمعرفة سبب الصيحة، فإذا بأربعة أزواج من العيون تنصب على اليكس، المتكئة بكسل وعفوية على عضد الباب مرتدية سروالاً عتيقاً، مرفوعاً الى ما فوق الركبة كاشفاً عن جورب صوفي مخطط بألوان متعددة، ومتعلة خفاً قدراً بالياء، ولايسة قميصاً يرتقالياً زاهياً مكتوباً على صدره بأحرف سوداء ضخمة «أنا مجتونة!» أما شعرها فقد فرقته عند الوسط ومشطته من الخلف الى الامام، ثم جعلته ضغيرتين على الجانبين مربوطتين غير مرتبتين تتدليان على كفيها. . حدثت في الوجوه الدهشة بغير اهتمام، ثم مدت لسانها بين شفيتين مليتين بأحمر شفاه قرمزي اللون، ونفخت خديها، ثم راحت تنفخ علكة جعلتها بالوناً كاد يلتصق بوجهها.

صاحت ساشا زاجرة:

- اليكس . . كيف يمكنك فعل هذا؟

وحبست أنفاسها وكأن هذه الأنفاس متعلقة بالعلكة التي توشك على الانفجار. . وحين انفجر البالون انصقت العلكة على فم اليكس، فمسحته ولم تلبث أن مدّت هذه اليد الى الغريب المحدق فيها.

- أنت الكونت دون شك. كيف حالك؟ أنا اليكسندرا، شقيقة ساشا.

أصابها خيبة الأمل حين ظهرت التسلية على فمه، قبل أن يضع قناعاً متحدياً على وجهه. . ولم يلبث أن انحنى بأدب فوق

## ٢ - قيود النار

بعد نصف ساعة، بدت اليكس ظاهرياً ساكنة مستعدة للانضمام الى الضيوف الذين تجمعوا في الطابق الأرضي. دقّ والدها وساشا بابها وهما في طريقهما الى الأسفل، يحثانها على الإسراع، لكن كان لديها سبب خاص لتؤخر دخولها الى الجمع، فطلبت منهما تركها. وتريثت حتى وثقت من أن الضيوف جميعهم وصلوا. ثم تحركت نحو الباب، تحافظ على هدوء بارد، دون حاجة الى تأمل مظهرها في المرايا العديدة التي تمر بها في طريقها.

عندما وصلت الى غرفة الاستقبال الرئيسية، وقفت في الباب بانتظار أن يلاحظ أحد وصولها.

كانت الأحاديث تتدفق من السنة كثيرة، والعيون الفضولية ترمق ساشا وفتار الواقفين داخل الباب مباشرة وظهراهما إليها، يحيط بهما نيقولاس الذي تضيء وجهه ابتسامة الأب الفخور، ورجل أطول قامته، وأنحف جسداً، يرتدي سترة تلتصق بكفتين عريضتين، يظهر تحتها كمان فاتحا اللون يطوقان معصمين أسمرين بنيين. كان شامخ الرأس، واثقاً من نفسه. . فعرفت أنها تنظر الى صاحب الصوت المجهول.

يدها الدبقة ورد بانكليزية لا تشوبها شائبة:

- كيف حالك أنتي . . كلي سرور بمقابلتك .

حين تصاعد الارتباك الى حلقها، بلعت لعابها بقوة، تبحث باسمة عن كلمات تستطيع فيها اختراق هذا الصمت الكريه . . لكنها تلقت الصدم من دماغ بدا مقللاً، ولسان رفض الانزلاق .

كان الانتصار في الجولة الاولى دون شك للكونت، ولم ينقذها إلا غضب أبيها الذي تمتم: «عذراً سيدي» وأمسك بيد اليكس بقوة وسار بها بعيداً عن الانظار المصدومة التي كان يرمقها بها أفراد عائلة فيتار . لم تكد قدماها تلمسان الأرض ووالدها يجرها من المرفق نحو حجرة انتظار صغيرة ما أن دخلها حتى رفس الباب بقدمه قبل أن يصرخ بها:

- أريد تفسيراً لهذا التصرف المعيب . . وحذار . .

اليكس . . . أريد تفسيراً معقولاً ومقنعاً

كان غاضباً غضباً شديداً شعرت اليكس معه بأنها على وشك الاغماء . . كان نيقولاس كورديس يحب ابنتيه، بلهفة يونانية خاصة بعد وفاة أمهما . ولم تكن اليكس قد قبلت طباعه القاسية التي أنجحته في عالم المال . كانا دائماً صريحين مع بعضهما بعضاً لذلك ورغم خوفها، قالت له بشجاعة:

- ما فعلته كان احتجاجاً على التكبر! عندما قصت عليّ

ساشا خطتك التي تقضي إبعاد جدتي تينا عن عائلة فيتار، أحسست بالقرف والغثيان، والخجل الشديد منكما

عقد والدها ذراعيه، وقال متجهماً:

- لذا قررت مستعينة بطريقتك الحمقاء العنيدة، الانتقام . . .

دون أن تترشي حتى تتناقش الوضع . لقد اتخذت من نفسك أضحوكة بارتدائك ثياب الصعاليك أمام أناس لهم ذوق رفيع في عالم الجمال والأناقة . لن تجدي في اليونان فتاة ترندي مثل هذا المظهر الرث . هذا الذي قد لا يحرك حاجباً في الحرم الجامعي في أميركا، لكن النساء هنا لا يظهرن في سراويل مهما يكن السبب . لقد جلبت العار عليّ وعلى شقيقتك بمظهرك الرث هذا وبملايسك التي لا تنفع لخدمة . مع أنك في الثالثة والعشرين، وساشا في الثامنة عشر، إلا أنني مؤمن بأنها أنضج منك بمرتين أو أكثر .

احمرّ وجه اليكس، وأحست بجرح في مشاعرها، ليس من الكلمات التي تستحقها فقط بل من نبرة الصوت التي نطق بها هذه الكلمات . كان وجهه الوسيم مضرّباً مكفهراً . فسارعت الى منع دموعها من التساقط، قبل أن تعاود الهجوم:

- ليس من حقك التكبر على جدتي . . إنها تساوي مئة من بقايا النبلاء المهترئين الفاسدين!

- أو لا أعرف هذا الواقع؟ لو أمهلنتي بعض الوقت لشرحت لك أن جدتك قلقت حتى المرض من اضطرابها لاستقبال عدد كبير من الغرباء الذين لا يجمعها بهم أي شيء . وكانت قد كتبت لي ونحن في أميركا، تبدي تخوفها، وتتوسل حتى أريحها من واجب ضيافة أقرباء فيتار الكثيرين . إنها عجوز وهي تعبة . هذه هي الأسباب التي جعلتني أتردد في تحميلها وزر هذا الواجب .

ذعرت، وفزعت.. ثم أسرعت تخفي وجهها في صدره،  
تهتز من البكاء.

- أسفة بابا لأنني أسأت الحكم عليك.. كان يجب أن أفذر  
شأنك.

ضممتها ذراعاه الرقيقتان حتى توقف انسياب الدموع. ثم  
أبعد وجهها الخجول عن صدره ونظر إليها بحزن وهز رأسه.

- ماذا أفعل بك البكس..؟ أخشى أن يسبب لك لسانك  
المتسرع يوماً ألاماً وحزناً كبيرين. يجب أن تتعلمي كيف  
تتحكمين بطبعك يا ابنتي.. وعليك أن تفكري ملياً قبل أن  
تتكلمي خاصة حين ستعتردين من الكونت.

انترعت نفسها من بين ذراعيه:

- أعتذر من الكونت؟ لن أعتذر أبداً

- بل ستعتردين، هذا إذا رغبت في متابعة دراستك التي  
يبدو أنك تمنيتها بشدة. قد تكون الجامعة التي تدرسين فيها  
كريمة مع الطلبة وقد تؤمن لهم الكتب والسكن الجامعي، وذلك  
لأن التعليم مجاني.. لكن ثمة حدود للمجانبة هذه قد دون  
مساعدة الأهل ستجدين الكثير من الصعوبات، وقد تجدين  
الاستمرار مستحيلاً إذا توقفت عن دعمك. إذن الخيار أمامك  
هو التالي: إما أن تعتردي من الكونت بسبب ما أظهرته من  
أخلاق سيئة أو تواجهين مستقبلاً كله عثرات وصعوبات مالية.

حدقت فيه، غير قادرة على أن تصدق أن صاحب هذا  
الصوت الصارم، والعينين القاسيتين، هو الأب الذي كان في  
الماضي يتساهل مع رغباتها.. ما قاله صحيحاً فلن تتمكن من

متابعة دراستها دون المساعدة التي يقدمها لها. قد تلوح ببيرق  
الاستقلالية وتقول له احتفظ بمالك، لكن الصدق والاستقامة  
دفعتاها الى الاعتراف بأن من المستحيل أن تعيش دون مساعدته  
في مجتمع فيه التضخم المالي عنيف.

وكان ردها متمرداً.. لكن لهجتها أنبأته بأن الجدل انتهى:

- أنت ترغب في تلقيني درساً في التواضع، بابا..

- إنه تلقين لن يضررك أبداً. لكنني في الأساس أود أن يتلقى  
الكونت ما يحق له. يجب أن أذهب الآن.. وسأعتذر عن  
غيابك طبعاً، طالباً من الكونت أن يسمح لك بخمس دقائق من  
وقته بعد العشاء.. والآن، أقترح عليك الذهاب الى غرفتك،  
لتنظفي نفسك من هذه الفوضى، ولترتدي فستاناً مناسباً بك  
عندما تقابلين الكونت. يجب أن يكون الفستان آخر صيحة في  
عالم الازياء.. وأعتقد أن الرمادي قد يتمازج مع لون عينيك..

- هه.. مضحك جداً

لكنه كان قد تركها وخرج، فأخذت تحلق فيما حولها  
بجنون وارتلّت على عقيبتها وكأنها لولب وصاحت:

- أعتذر..! أعتذر من ذلك.. ذلك! أوه.. يا للجهيم!

واندفعت تركض نحو غرفتها.

بعد التلوي مع ألامها وعذابها بسبب هزيمتها، اعترفت  
لنفسها بعد ساعة بتلك الهزيمة. نظفت وجهها، ووضعت مسحة  
خفيفة من الزينة، ثم سرحت شعرها وأعادته كقبعة جميلة فوق  
رأسها.. ثم اختارت فستاناً رمادي اللون لا يزينه سوى ياقة  
بيضاء. وجلست قرب النافذة تنتظر.. حتى دقت خادمة الباب

ضروري... على كل الأحوال هناك أمر آخر أود أن أبحثه معك  
فهلا أعطيتني بضع دقائق من وقتك؟

عادت الى مقعدها دهشة، لكنها جلست هذه المرة على  
حافته قلقه كعصفور دوري مرتاب من دوافع القطة المتسللة.  
قدم لها علبة سكاثر فضية، ثم سحبها حين رفضت:

- النساء في بلادي لا يدخن عادة. لكنني أعرف أن  
الامبريكيات يحبين السكاثر... وأعتقد أنك إحدى أولئك النسوة  
المتحررات، المؤمنات بوجهة النظر الحديثة القائلة إن المرأة  
حرة في اتباع هواها حتى ولو كانت هذه الحرية على حساب  
النساء الأقل حرية.

- لماذا تتلاعب بالكلمات سيدي؟ إذا ظننتي أنانية لأنني  
اخترت تجاهل أفكار أبي القديمة الطراز رافضة الزواج قبل  
شقيقتي الصغرى، فلماذا لا تلج مباشرة الى صلب الموضوع؟  
لكن قيل أن تتطرق إليه، أحذرك أولاً بأنك ستهدر وقتك سدى،  
فلست أشعر بالذنب لأنني اخترت مهتي. لو كنت محل ساشا  
لتزوجت، سواء أرضي والدي أم لم يرض. لكن العائق الذي  
منعهما كان تردد فيتار في مخالفة رغبات أبي. وهو ما تردد إلا  
رغبة منه في عدم اغضاب أبي وذلك لأنه خشي أن يحرمه من  
ثروة كورديس.

إذا كانت تظنه سيغضب، فقد خاب أملها. نظر إليها نظرة  
طويلة باردة، يمعن النظر في مظهرها، تتسلل عيناه من قمة  
شعرها الاصهب الى عينيها الخضراوين المثيرتين، فوجتيتها  
الحمراوين، فشفتيها الشهيبتين اللتين طالت عندهما نظرتة:

تعلمها بأن الكونت يتظرها في مكتبته.

ما إن دخلت حتى وقف الكونت ثم دعاها الى الجلوس  
وتريث قليلاً حتى استراحت، ثم عاد الى مقعده.

- قال لي والدك إنك ترغيبين في الحديث معي آنستي!

لاحظت نظرة عميقة في عينيها السوداوين، والتواء ساخرأ  
يرفع طرفي فمه... كان أنفه المستقيم كحد السكين وكأنه لأمير  
إغريقي... لكنها كرهت هذا التنازل العطوف، ولم تثق بالرياء  
المنافق خلف قسماته الشرقية السمراء التي ربما ورثها عن  
أسلافه.

- تبدين مختلفة... لا أكاد أصدق أنك ذات الفتاة التي  
التقيتها هذا المساء، فأنت في الواقع فائنة...

أحست بالانزعاج من اطرائه، لكنها أجابت:

- والدي يجدني مدينة لك باعتذار.

ابتلع كلامها الوقح ثم ابتسم:

- قد يظن والدك هذا... لكنك على ما يبدو لا توافقينه  
رأيه!

احمرّ وجهها وهي تشعر بنيرته مشبعة بالتوبيخ، ثم قفزت  
واقفة:

- أنا آسفة إذا بدا كلامي فظاً... سيدي... أرجوك... اقبل

اعتذاري لما سببه من إحراج لك ولضيقك.

وارتدت على عقيها خارجة. لكن طلبه الهادئ الرقيق  
منعها:

- أرجوك لا تذهبي آنسة... فأنا مثلك... أعتبر الاعتذار غير

فقط، ويؤمنون في ما يودون تصديقه. والنساء يعلن الى هذا بشكل خاص. ليس كل النساء إنما أولئك اللاتي يكافحن بشدة لكبت أنوثتهن، واللاتي يخجلن من هشاشتهن أمام الجنس الآخر. أو اللاتي لسن مؤهلات جسدياً أو نفسياً لتحمل الاعباء التي خلقت للرجال، فهن يتقلبن في النهاية ضد الجنس الذي حاولن أن يقلدنه. وللأسف، اعترف لي والدك أنه كان نادماً لأنه لم ينجب صبيّاً. فكان أن حاولت على غير قصد منذ طفولتك ملء ذاك الفراغ في حياته. . لكن رغم ذلك لم تكوني له الابن الذي يريد بل حرمة من الابنة التي لديه الابنة التي يستطيع الافتخار بها، الابنة التي قد يجعله جمالها مثار حسد لدى أقرانه لكن هذه الابنة، أصبحت إحراجاً لوالدها فهي فتاة سيئة الطباع، فرصها في الزواج تنقلص في كل مرة تمارس فيها لسانها السليطاً

ارتدت الى الوراء ساخطة:

- كيف تجرؤ على هذا الكلام؟

رفعت بصرها إليه، برفعة وشموخ حتى بانئت عيناها كخنجرين خطرين، مسلطين على وجهه. . وقالت متحدية:

- أستطيع الزواج من أي رجل أختار. . وأعني أي رجل يوناني! ليس في هذه المدينة المليئة بالمرتزقة رجل لا يستطيع والذي شرابه لي. . وما من شك أن والذي الآن يعرضني للبيع. . أما ساشا فلا شك في أنها أشاعت خيراً مفاده أن والذي أحضرنى الى اليونان ليتخذ لي زوجاً واعتقد أن ساشا لا تكاد تتترك لحظة دون رمي الاتهامات على رأسي. . والآن

- أنت حجر العثرة بالنسبة لأثتك. . ساشا جميلة، فاتنة، فكيف تشكين في حب فينار لها؟

- بل أشك في قدرة أي يوناني على الحب! أنتم شعب خال من الحرارة سيدي، أنتم عرق لا عاطفة فيه، لا يهتمكم سوى التملك وحسد من هم أكثر منكم جاهاً. . أنتم مخادعون مستعدون لتعطيم القلوب دون رحمة. . وذلك حتى تصلوا الى مآربكم وحتى غناؤكم العاطفي ليس إغريقياً بل رومانياً، أما الغناء الفولكلوري فمعدوم عندهم، لأن الاسبارطيين لم يتعلموا قط معنى الحب وهم رجال حرب.

لم يظهر على وجهه أثر للغضب حين رد عليها محتجاً بكسل:

- هيا الآن آستي. . أنسيت إله الحب لدى الاغريق. .

- لم أنس. . لكنه كان إلهاً جباراً بارد القلب، فاسقاً، متقلب العاطفة.

وقف أمامها لينظر إليها من علو:

- لقد كوّنت انطباعاً سيئاً عن بني جنسي في الفترة الوجيزة التي قضيتها في بلادي. وهذا لا يزيد عن. . ؟

فقسزت واقفة، فمن الخير المجابهة وقوفاً على قدم المساواة. . أحست بالتوتر. فأجابت:

- بضع ساعات فقط. . لكنني عشت عمري كله مع تقاليدكم ومحرماتكم، وعانيت ممارسة طويلة مؤلمة حتى أصبحت مؤهلة لادعاء الخبرة في اختراق ادعاءاتكم.

- بعض الناس آنسة كورديس، يرون ما يرغبون في رؤيته

أنت... لك ما تقول! أسألك سيدي... أنتخلى عن حريتك،  
أترج نفسك في رباط زواج مع غريبة فقط استجابة لرغبة شخص  
آخر؟

اشتد غضبها بسبب الطريقة البطيئة المتعمدة التي راح يفكر  
فيها بسؤالها، وأحست بقلّة الراحة من جراء التحدي المنبعث  
من عينيه السوداوين اللتين بدتتا تخترقان حجب جسدها ونفسيها  
بحثاً عن الحقيقة. ثم أجاب ببطء، مازال يعتمد:

- قد أفضل... فهذا يعتمد على مدى احترامي للشخص  
المقصود.

اعتبرت رده توبيخاً لها، فشعرت بأن السخط والغضب  
اللذين مرّا بها في هذا اليوم، يحثانها ويدفعانها الى تصرف  
طائش.

- حسن جداً يا سيد... سأمهلك حتى تثبت صدق كلامك!  
تقول إنك مهتم لسعادة فينار وساشا متهماً إياي بالأناثية لأنني  
أرفض أن أكون الضحية، مدعياً بأنك ما كنت لتقف في طريقهما  
لو كنت في مكاني... وأنا أعتقد أنك منافق، فيبح كذاب،  
ولهذه الاسباب لا أجد خوفاً في أن أضحك قيد الاختيار...  
أعطيك وعداً قاطعاً صادقاً... أنني سأزوج بأسرع وقت ممكن  
يقتضيه أعجل عرس.

استطاعت للمرة الأولى أن تدعله. فارتفع حاجباه وغدت  
تعاير وجهه مزيجاً من الحيرة والرضى... لكنها ردّت نظرتها  
بأخرى أخذت منها، متباهية بانتصارها قبل أن تنطق بشروط  
استسلامها:

- نمة شرط يا سيدي... وهو أن توافق أنت على أن تكون  
العريس!



من يدي وأمرع لأبي طلب الكونت؟

هزت ساشا كضيها حانقة:

- لأنه الكونت كما أعتقد ولأن من حقه أن يكون له درجة خاصة.

- هذا رأيك أنت. أما أنا فأخالفه لأن طبيعة هذا الرجل فارغة كجيبه، وكلامه بلا معنى كلقبه... أما شرحت لك ولوالدي الطريقة المخادعة التي اعتمدها لأوافق على أن أكون زوجته. وإذا أصرت على مطالبتي بالوفاء بوعدتي، فسأجعل حياته جحيماً.. وقبل مرور بضعة أشهر سيكون جاثياً أمام أبواب الكنيسة طلباً للطلاق وسعياً وراء حرته!

سارعت ساشا بابتهاج الى السرير والتقطت الاكليل الذهبي الذي سيكون اكليل شوك لأليكس.. وابتمت برضى:

- تستحقين هذا تماماً.. لقد زججت نفسك في هذا المأزق وأنا من الناس الذين لن يتعاطفوا معك.. لقد حلزك پاپا في مرات عديدة من لسانك الذي سيوقعك في ورطة لن تستطيع قدماك جرك منها. وها قد حدث لك ما تكهن!

احتجت اليكس بعنف:

- كنت أحاول اثبات نفاقه! وكيف لي أن أعتقد أنه سيجرني أمام أقاربه جميعاً، ليعلم بكلام مبالغ فيه أنني وعدته بأن أكون له زوجة! يا له من مخلوق وقح!

أغلق تفكيرها أبوابه على ذكرى الكابوس الذي مرّ بها مساء البارحة. لكنها تابعت:

- كان يعلم أنني لا أريد أن أتزوجه، ورغم ذلك لم يترك

### ٣ - امرأة النمر

خيط فستان عرسها، كما قبيل لها، يدوياً منذ ما يزيد عن قرن وذلك على يد راهبات من دير شهير. كان الاكليل الذي سيوضع لتثبيت الخمار العاجي اللون من الذهب الخالص، المشغول يدوياً بشكل نبات متعرش مجدول.

جربت اليكس ارتدائه بتزق. ثم نظرت نظرة سريعة الى صورتها في المرآة. تمتعت بعدها: إنه يظهرني كنيرون الحقيراً هزت رأسها بحدة جعلت أطراف الاكليل تفرز في جيبتها وصاحت لصورتها في المرآة:

- كيف سمحت لنفسك بالوقوع في مثل هذا الفخ أينها الحمقاء! لا بد أن تحديك قد لاح له من السماء كالمن الذي نزل على بني اسرائيل.. فما الذي دفعك لقبول خداعه؟

عندما سمعت وطء أقدام تدنو من غرفتها، انتزعت الاكليل ورمته على الفراش. كانت تحذق من النافذة حين دخلت ساشا.

- تحدثت مع تيغر الذي يسود رؤيتك في أسرع وقت ممكن.. وقد قلت له بالطبع إنك ستأتين إليه حالاً.

لم تشح اليكس بصرها عن النافذة، بل ردت ساخرة:  
- وهل قلت هذا؟ عجباً.. لماذا ظننتي قد أترك كل شيء

لي فرصة لاتراجع عن وعدي الأحق!  
ابتسمت سائها ابتسامة القطة الراضية:

- ولن يترك لك الفرصة .. في الواقع .. لا أظنه يرغب في الزواج أكثر منك .. لكنه يضع مصلحة قيتار نصب عينيه .. لقد وضع تيغر على عاتقه مسؤوليات لا يهملها أبداً. وهو يشعر لأنه على رأس عائلة بيرتاكس، بأن عليه حل مشاكل أفراد عائلته ولو كان على حساب نفسه. إن رجلاً كهذا لنعمّ الزوج يا اليكس .. وهو أفضل بكثير مما تستحقينه .. في الواقع!

ارتدت اليكس الى الوراء عن النافذة ترغي وتزبد غضباً:

- لكنني لا أريد زوجاً ثرياً كأوناسيس أو وسيماً كأغا خان أو فاضلاً كقديس! فما بالك بأن أكون زوجة لكونت وضع، أعتقده حسب خطواته بكل حذر وعلم أن قصره ومركزه سيستفيدان جيداً من دعم شيكات بابا!

سارعت سائها ترد بحرارة:

- تيغر متأخر جداً ..

ثم وجدت نفسها تتحدث مع غرفة فارغة، ذلك أن اليكس تجاوزتها خارجة، تقصد رأساً الكونت الذي وجدته في مكتبته. فافتحمت المكان، ثم لم تلبث أن راحت تبدي احتجاجها من غير مقدمات.

- اصغ إلي الآن .. يجب أن ننهي هذه المهزلة حالاً!

وقف على قدميه، يقلب قلماً بين أصابعه:

- مهزلة؟ أهذه طريقة مناسبة لوصف زواجنا الوشيك يا

حلوتي؟

- لا تنادني «حلوتي» اسمي اليكس!  
لكنه لم يُخدع .. بل ضحك عالياً:

- حلوتي .. يا جميلة .. أجل هذا اسم يليق بك أكثر من اسم اليكس.

حين تقدم منها ارتدت مذعورة. لكنها لم تكن سريعة بما فيه الكفاية لمنع يده المصممة على أن تطبق على كتفها في سبيل الامساك بها بحزم. فما كان منها إلا أن اضطرت الى تحمل لمسة يده الأخرى وهو يعقد خصلة شعر حول أصبعه.

- أنسمحين؟

وقبل أن تعرف ما يقصد، أمسك مقصاً عن طاوكة، وقصّ طرف الخصلة الملثف فوق على راحة يده .. ثم ترك كتفها لينظر الى الدائرة الحمراء الذهبية الملقاة وكأنها وصمة نار في راحته. ثم أخرج من جيبه علبة جلدية صغيرة أعطاها لها وقال:

- افتحها .. أرجوك.

ما إن لمستها حتى انفتحت العلبة. فإذا هي تكشف عن قلاذتين تستقران جنباً الى جنب على وسادة مخملية صغيرة بيضاء اللون بدتا فريدتين بشكل لا يصدق حتى عجزت عن كبح شهقة اعجاب. كانت كل قلاذة ذهبية منهما صورة للنمر الذي هو رمز عائلة بيرتاكس التي يسمى الابن الأكبر فيها دائماً باسم تيغاروس أي النمر. كان هذا النمر في القلاذة مكشراً عن أنيابه، معكوف الذنب، ذهبي العينين اللتين تلمعان كالماس بنظرة قاسية عابسة تشبه نظرة الرجل المنتظر ردها .. في وسط كل



نمر، صورة جانبية من زجاج يمسك بها أربعة مخالب، أحدها لرجل ذي تقاسيم اغريقية كلاسيكية، والأخرى، لوجه فتاة ذات تقاسيم أقل حدة، فوق رأسها أكليل ذهبي، على كل عروس في عائلة بيرتاكس أن تضعه يوم زفافها.

رفع تيغر بصمت القلادة التي تحمل وجه الفتاة من الوسادة المخملية البيضاء وضغط على زر خفي فيها فانفتحت كاشفة بذلك عن مخبأ وضع فيه خصلة شعر اليكس... ثم أفلحها ووضعها في جيبه قائلاً:

- الأخرى ستكون ضمن ممتلكاتك.. وقد أخذت هذه الخصلة مسبقاً قبل أن يطلبوا هم ذلك. أما هذه فهدية الخطوبة. فقد تبادل العشاق في عائلة بيرتاكس منذ قرون هذه القلادات التي تحتوي إما على صورهم أو على تذكارات شخصي. أما الخاتم فسأزودك به لاحقاً. إن تقاليد عائلتي تقتضي أن يقدم العريس هذه القلادات على أنها رمز لرباط أقوى من مراسم الزواج. فلنك أن تقولي إنك منذ هذه اللحظة عروسي. زواجنا لن يتم إلا بعد مراسم الزواج الكنسية، لكنك الآن بالنسبة لي الكونتيسة اليكستندرا بيرتاكس.. وأرجو أن نشترك حياة كلها وفاق وسعادة يا حلوتي!

جعلتها كلمة التعجب هذه، تهب من ذهولها، فابتعدت عنه بحدة، متخذة ما يزيد عن المتر فاصلاً بينهما.

- أنا لست حلوتك! سيدي.. ولم أصبح بعداً وأعدك أنك إن أصررت على إلزامي بالوفاء بوعدي فستندم على هذا كل يوم، كل ساعة، وكل لحظة قد نقضتها معاً. فأنا لست ساذجة

كأختي الصغرى التي تؤمن بأن خطيبها مفتون ومأسور بسحرها. أما أنا فليس لدي هذا الوهم، لأنني أعرف تماماً الدافع وراء لهفتك ولهفة فينار على الزواج منا، وهو الوضع الصحي لمحفظة أبي. إذا كنت مائزلاً مستعداً للمعاناة، فلا مانع عندي.. لكن، سجل هذا، سيدي: لن أعاملك كزوج أبداً، ولن يحصل أي تبادل للرقعة بيننا، ولن تحصل أيضاً على ليال مشوبة العاطفة. وسأقبل بك «صاحباً» ظاهرياً فقط وبما أنني أعرف تعلقك بعادات بلادك القديمة، فلن أشير إلى واجباتك.

ابيض وجهه شحوباً.. فاخترت رعشة الانتصارا عظيم أخيراً تمكنت من اختراق برودة أعصابه التي لا تطاق. أشعل النجاح بهجتها فبنت تصرفاً أكثر ثقة بالنفس:

- لقد دهشت، حين درست تاريخكم، الذي أشار إلى أن نساءكم كن متحدرات، عاطفياً على الأقل، يشاركن الرجل الاسبارطي القتال، لكنهن يفعلن ما يشأن. وقد قرأت أن معظمهن كن يستفدن من تحررهن هذا... إذ كان لكل امرأة، إضافة إلى زوجها المتساهل، عشيق، «صاحب» معترف به. وهي تختاره بعد سنة من الزواج بموافقة زوجها، أما الشرط الوحيد فأن يكون من طبقتها الاجتماعية. وأنا لن أفرض عليك واجبات مرهقة سيدي.. بل أتوقع منك السهر على راحتي دائماً، كحمل مشترياتني حين أخرج إلى السوق، ومساعدتي في الصعود والنزول من سيارتي، ومرافقتي إلى الحفلات العامة واصطحابي لمشاهدة ما أبدي رغبة في مشاهدته، لكنني سأغاضي عن السعادة في تقبيلك يدي كلما التقينا.

لوت أطراف شفثيه . أحست بخيبة أمل . . كيف ظنته متوحشاً؟  
فهذا النمر ليس سوى قط أليف . . .

كان هذا الافتراض، هو المسؤول عن الاحتقار الذي لاح  
واضحاً في كلماتها:

- إذا كنت تريد أن تقول إنك غيرت رأيك بشأن الزواج  
سيدي، فسأكون سعيدة بالاصغاء إليك .

رد عليها بدمائة خلق جعلتها تصرّ على أسنانها:

- بالعكس . . . فأنا أعتبر أننا نلحق ببعضنا بشكل مثالي .  
انت كما قلت لك أصبحت ملكي ! وأنا أود أن أتأكد من أنك  
تفهمين أن الوضع الذي تفوهت به شائن للغاية . أتدركين . .  
مثلاً . . أن «الصاحب» الذي تتكلمين عنه كان عادة خُشى وهو  
انسان سيء الحظ، لا يملك حصته من الهرمونات الصحيحة،  
لذا وضع في المنزل مع النساء لا مع الرجال الذين لا يبذون  
تعاطفهم، ولا يحسون بأي صلة تربطهم به . كان النساء يتحملن  
هؤلاء المخلوقات التعسة شرط أن يبقى راعياً في خدمتهن وأن  
يعطينهن أذنأ صاغية لمشاكلهن، وأن يكون مستعداً على الدوام  
لإراحة صداعهن بوضع منديل ملىء بالعطر على جبينهن . لا  
أنكر أن الأزواج كانوا متساهلين وما ذلك إلا لأنهم ما كانوا  
يخشون أن يغوي هؤلاء نساءهم . كانت العلاقة بين امرأة  
ومرافقها نادرة جداً، فللصاحب حتى في أيامنا هذه دوره في  
غرفة الملابس لدى النساء الثريات في أنحاء العالم أجمع فني  
فرنسا يدعونه «جيغولو» وفي إيطاليا «سيسيبو» ولست أدري إذا

حملتها نشوة النصر، والإحساس بالسلطة، فانتظرت  
مفرجة الساقين، بتحد أن يبدأ بمناظرة . فإذا كان مصمماً على  
التمتع بمحفظة والدها فعليه أن يتحمل لسانها السليط .

ترقبت وأنفاسها محبوسة ونظراتها مستقرة على عينيها  
الباردتين الذهبيتين رد فعله . لكن الصمت طال والغرفة اشتدت  
برودتها حتى ارتجفت قليلاً، متذكرة حب الاسبارطين وولعهم  
بحيوانات الغابة . . كانت مدينة اسبارطة مزينة بالتمائيل  
الحجرية، لأسود مجنحة، ونمور متحفظة وفهود شرسة، تجدها  
تحت النوافذ، أو ممتدة على أسفل السلالم، أو متسلقة  
المداخن أو قابعة على أوعية الزهور وأبواب الحدائق . . بعضها  
منحوت من الخشب، وبعضها الآخر من الحجر . . وتذكرت  
بشيء من الخوف كلمة قرأتها: «من المفهوم أن على الاسبارطي  
الاعجاب بالحيوانات القديمة، لأن رجال اسبارطة يصبحون  
كالحيوانات حين يستولي عليهم جنون الانتقام!»

ارتدت الى الوراء لتدير ظهرها للرجل الصامت، المميز  
غضباً، وشعرت بضرورة الفرار من الجو المتفجر الذي يطغى  
على جو الغرفة . فقد شعرت للمرة الأولى بأن روحها الجريئة  
الشابة، ترتجف خوفاً . . خوفاً جعل خطواتها سريعة، وقلبها  
عاصفاً، يكاد يخرج من بين أضلعها، وما جعله حبيساً في  
حنجرتها إلا الذعر .

- لحظة واحدة من فضلك ! فنحن لَمَّا نته نقاشنا .  
كان الأمر حاداً، جازماً، ومع ذلك لا يحمل وعيداً .  
فتوقفت والتفتت إليه ببطء متسائلة، فسجلت عيناه شبه ابتسامه

## فراشة الشبّة

- أنا أتبع ما تمليه عليّ بديهتي. لم يحدث أن اتخذت رأياً  
بشخص ما إلا وكان مصيباً.

تلاشت ابتسامته الرقيقة عن وجهه:

- أنت مخلوقة عبيدة.. لكنني لا أنوي اشباع شهيتك الى  
التهجم. فأنت مازلت طفلة، وعلى الانسان أن يكون صبوراً مع  
الاطفال لأنهم نبتة مرة قد تنتج ثمرأ حلواً.

ردت بفظاظة، وسوء خلق:

- اصبر ما شئت، لكن الثمرة الوحيدة التي ستقطفها ستكون

حامضة!

خرجت من الغرفة مسرعة تتبعها ضحكته. فنساءلت لماذا  
يملك هذا الرجل الذي تمقته، وتحتقره هذه القوة التي تجعلها  
تبحث عن الهدوء والبرود، والتي تثير عواطفها وتلهبها حتى  
تكاد تحس كلما التقت به بلهفة متوحشة لإيلامه. إنها تخشى  
الحقد الذي يثيره في نفسها.. وإذا بقيت هادئة باردة، فستتمكن  
من التعاطي معه.. أما إذا أعاققتها عاطفتها فتصبح معرضة  
لكل أذى.

\*\*\*

كان لهم اسم في بلادك... قولي لي صدقاً يا اليكس...  
أنتطبق هذه المواصفات عليّ؟

فتحت شفيتها لتطلق إهانة مناسبة لكن كل ما كان في  
رأسها تبخر حين التقت عيناه الحادثان المتفرستان بها، بعينيها  
المذعورتين. لم يكن قد حرك ساكناً.. ولا نطق بكلمة، ومع  
ذلك كانت تحس برجولته تتدفق من جسده، ومن عينيّه  
الذهبيتين الشبيهتين بعيني القط، ومن مشيته الحيوانية الرشيقة.  
حين أطلق ما يشبه الضحكة اضطرت للكلام:

- لا..! يجب أن أعترف بأنك لست هكذا. لكن الامر لا  
يهمني. فرجولتك أو عدمها، لا تهمني... كل ما أريد معرفته،  
ما إذا كنت مستعداً مقابل الدوطة الضخمة التي سيقدّمها أُمّي،  
أن تقبل بالشروط التي ذكرتها لك؟

- طبعاً.. سيكون من سعادتني أن أسعدك.. على الاقل في  
الوقت الحاضر.

- اسمعني! ارتباطنا سيدوم فقط حتى يحسّ بابا بالأمان  
ويأذن لأختي بالزواج. لقد حذرتها من الزواج بابن عمك،  
مستخدمة كل وسائل الاقناع التي أعرفها لأحول بينها وبين  
التورط الذي اعتبره أكبر غلظة سترتكبها في حياتها، لكنها لم  
تصغ إلي. لذلك عليها أن تجد الحل بنفسها حين تكتشف أنني  
محقة وأنها مخطئة!

- وكأنك تهتمين بإثبات نظريتك!

كانت الكياسة، من رجل تحتقر دوافعه، مزعجة، فأجابت:

## فراشة الحبة

٤ - الصاحب

وضعت اليكس في اليوم التالي صبر الكونت تحت الاختبار. سعى إليها بعد الفطور فوجدها واقفة أمام النافذة تتأمل البحر تتمتم وهي واقفة هناك، عيناها تتابعان المركب الأبيض الذي يمحّر عباب الماء حاملاً ثقله الذي قد يكون بضاعة أو ركاباً.

- صباح الخير اليكس.

أجفلها صوته، لكنه تابع:

- ذكرت ساشا، أنه ليس ما يشغلك اليوم، وبما أنني حزّ كذلك، قررت أن أصطحبك للقيام بجولة في المدينة، فأنت على ما أعتقد ككل الزائرين ترغبين في التعرف على معالمها. التفتت إليه، وقد سرها تواضعه معها وقالت:

- احضر معظفي وحقيبتني.. لن نخطئهما فهما على

فراشي.

سار يهدوء الى الجدار واضعاً اصبعه فوق زر جرس.. وما

هي إلا لحظات حتى قرعت خادمة شابة الباب قبل الدخول:

- طلبتني سيدي؟

- أجل شيلا... تريد الآنسة معطفها وحقيبتها من غرفة نومها.

- حاضر سيدي.

لكن اليكس أوقفها:

- لا تزعجي نفسك شيلا.. فالسيد سيحضرها بنفسه..

أرجوك، عودي الى عملك.

- عفواً آنستي..

رن صوت اليكس نافذ الصبر:

- سمعت ما قلته لك!

ترددت الفتاة خائفة، مذهولة ثم جالت عيناها المتوسلتان نحو سيدها الواقف متعجرفاً.. لكن في لمح البصر زال عنه تعجرفه، قائلاً بصوت هادي:

- اذهبي شيلا، سأحضر أنا أغراض الآنسة.

حين تبع الفتاة الى الخارج، عضت اليكس على شفرتها بقوة.. يجب أن تحس بالنصر لأنها مارست سلطتها على الكونت ونجحت، لكنه نصر متقبح قدر، نصر تركها تمثل الآن، الكونتيسة الكريهة. مع ذلك، لم يكن في استطاعتها الندم في مثل هذه المرحلة. فقد بدأ الاعداد للزفاف وما عاد أمامها سوى أقل من شهر لدفع الكونت إلى تغيير رأيه!

حين عاد تيغر، لم يشر أقل إشارة الى تصرفها الأرعن، بل ساعدها على ارتداء معطفها قبل أن يقول:

- ثمة ريح باردة اليوم. إذا كان لديك وشاح أقترح عليك وضعه على شعرك لئلا يتطاير ويتشعث.

يده، ثم سارت مضطربة نحو واجهة شرقية بدت لها خارجة من كتاب شرقي خرافي.

كان الموزاييك الذهبي البراق على الطراز البيزنطي القديم فوق أبواب ونوافذ يحيط بها منحوتات الأبراج في الفلك، والقديسين وملائكة. أما الرخام فكان قطعاً خيالي الجمال، فيه تماثيل مرمرية ومراوح مطلية بالذهب، وأشجار نخيل، وزنابق، وعنباً، ورماناً، وعصافير. كانت الواجهة مذهلة. فيها الكثير من كل شيء، حتى تكاد العين تشبع من هذا الجمال الغريب الخيالي.

وتمتم في أذنها:

- حسناً.. ما هو انطباعك عن هذا؟

كان للهجته رنة الافتخار، فليس هناك بالنسبة للاسبارطي مدينة تقارن بمدينته التي ما من فن نحت قد يشبه دقة فنها وما من رسوم قد تكون أكثر من رسومها. وما من كنوز فنية أثرية قد تصل الى نصف جمال المجتمع هنا..

ابتهجت اليكس كثيراً في إبداء رأيها:

- إنها تبدو وليدة أفكار سيد حرب شرقي مجنون.. هي ليست جميلة بشكل اجمالي بل اعتبرها ذات ذوق سقيم، فليس فيها إلا البهجة وكأنها حجر لص سرق ما قبل له إنه نادر وثمانين، لكن ما أن امتلكه، حتى أحس بأنه ليس لديه الذوق أو الفن لعرضه في أفضل حال.

- هيا الآن، أنت تحكيمين بعين الانحياز. انظري هنا، واغمضي عينيك قليلاً أمام أشعة الشمس، ثم تأملي الطبقة

أطبقت أصابعها على وشاح مربع الشكل في جيب معطفها لكنها اختارت تجاهل نصيحته، فخرجت شامخة الرأس الى فناء المنزل، حيث كان هناك ثلاث سيارات.. اثنان منها من النوع «السيور» المكشوف، والأخرى كبيرة فخمة رسمية. وقد خاب أملها حين تجاوز السيارتين الساحرتين فاتحاً لها باب السيارة الرسمية، وهو يضحك ضحكة خافتة:

- لو كانت رفيقتي ساشا، لما ترددت في اختيار إحدى هاتين. لكنني أعلم أنك تفضلين ما هو عملي بدل الأشياء المبهرجة. وأنا أعتقد موافقة على اختياري.

ردت ببرود:

- أنت على حق تماماً.. وأعلمك أنني لا أفضل فقط الأشياء الرسمية بل الرجال كذلك.

لكنها وجدت أن من الصعب اغضابه حين لا يرغب. وساق السيارة على الطريق المؤدية الى المدينة، يتجاوز أحياناً السيارات الصغيرة أو الشاحنات الكبيرة ويزج سيارته بين السيارات في فسحات ضيقة حتى حست أنفاسها أكثر من مرة قبل أن يصبحا من جديد على الطريق المستقيم. لكنها مع ذلك كانت تفضل الموت على أن تدعه يظن أن انتقامه منها قد بلغ مرامه.

أخيراً وصلا الى المدينة، وحين ركن السيارة في موقف عام كانت مقطوعة الانفاس تقريباً.. ساقاها تصطكان وهو يساعدها على الترتل، لكنها تجاهلته بهزة من كنفها وتركت

الصغير.. كلما اصطحتك مدة أطول، كلما وجدت أن حكمي عليك خاطيء.

ابتسمت بأعجاب لاختياره ألفاظه:

- دبوري الصغيراً لكن الدبور قد يكون خطيراً... إنه يعقص، لكنه نادراً ما يكون ساماً، ومع ذلك فقد يسبب الكثير من الألم والانزعاج، حتى لمخلوق يكبره بالآف المرات.

لم تتوقع منه أن يمسكها بذقنها لذلك حين فعل عضت لسانها، فتألمت ألماً شديداً حتى كادت تصرخ... لكنه أردف ببرود:

- حين رأيتك للمرة الأولى، رأيت جمالاً تحت قناع من الدهان وضعت على وجهك... ظننتك صغيرة، طفلة هاوية، محبوسة داخل جسد امرأة.. جسد ناضج، له حنايا مذهلة لا يمكن أن يخفيه ما ارتدته يومذاك.. أحسست بالشفقة على ما اعتبرته محاولة شجاعة لمهاجمة التسلط، محاولة للتنفيس عن روح استقلالية مكبوتة. يومذاك كان تصرفك محدد المعالم. مع ذلك أحسست بأنه دفاع ملؤه البكاء قد يتدفق لدى أي ضغط. لكنني أعلم الآن أنني على خطأ. أنت لست هشة عرضة للخطر أو طفلة أسيء فهمها، بل امرأة سيئة الأخلاق سليطة اللسان. في الواقع، تلك الكلمات التي كانت مطبوعة على قميصك تلك الليلة كان يجب أن تقول «أنا فاسقة»!

ليه أطاح برأسها الى النهر قبل أن يتكلم. لقد ذهلت، صدمت صدمة جعلت أذنيها تحمران ودفعت الدموع الى عينيها. لكن لماذا؟ لقد مضت عليها ساعات وهي تهاجمه، تلكمه،

المرمية المطعمة... لقد صقل المطر سطحها البراق، وكان الجدران ممسوحة بالزيت..

هزت كتفيها:

- أسفة.. ما تزال قبيحة بنظري، ولا تنسى أن اسبارطة لم تقدم الكثير للفن الإغريقي، وذلك لأن أهلها كانوا رجال حرب فقط.

- سنعود غداً.. فالآثار القديمة تشبه النساء.. يوماً جميلة كالحلم ويوماً عبوساً متجهمة.

حين أمسك ذراعها ليعدها عن مصدر فخره، أحست بانزعاجه. فكان أن قررت السير على هذا المتوال حتى تستغله. ركضت وهي تشفق وراءه لتستطيع مجاراة خطواته:

- لماذا تتوقعون من الجميع أن يعظموا قيمكم. مثلاً، تقول إن اسبارطة قد تكون جميلة كالحلم، ومع ذلك فقد يكون الحلم لشخص آخر كابوساً. ترى بماذا تحلم مدينة الحرب والموت؟ بشمس من ذهب؟ بقمر من فضة؟ بشلالات من الماس؟ ببرك من الزمرد؟ بجبال من المعادن الثمينة؟ لا يجد جميع الناس لذة في تاريخ كله تقشف وحرب وموت.

توقف فجأة وهما فوق جسر نهر «بورتاس» وأمسك بها ليديرها نحوه. كان في عينيه الذهبيتين لمعان غريب، يحذرهما وينبهها الى أن الوحش النائم قد أثير أكثر من اللازم!

وقال لها:

- قد يكون هناك بعض الحقيقة فيما تقولين يا دبوري

تناولا الطعام بصمت، فبدأ تيغر مشغولاً بطعامه، لكنه كان يسرع الى تغيير كوب الشراب من أمامها أو الطبق حين يكون ذلك ضرورياً. ومع أن اليكس تمتعت بالطعام، إلا أن توترها منعها من ابداء رضاها. . . بعد قليل سألتها:

- قال والدك، إنك كنت تزورين جدتك دائماً خلال السنوات الماضية. فإذا كان هذا صحيحاً فلماذا لم تقومي باستكشاف المدينة من قبل؟

- كنا نقيم مع جدتي دائماً في قرية الصيادين حيث عاشت طوال عمرها مع جدي الصياد. . . وأنا أحب الإقامة هناك. . . مع أن بابا وساشا كانا يقيمان في اسبارطة إلا أنني كنت أجد منزل جدتي أجمل بكثير.

- جدك كان صياد سمك، كما عرفت؟

- أجل.

- إنها مهنة شريفة، بنيت دائماً على أسرار لا يعرفها إلا العاملون فيها. . . وهي تورث من جيل الى جيل ضمن العائلة. إن التعاون الشديد بين العاملين في هذا المجال ضروري لنجاح تجارتهم، وهذا قد يؤمن ضمن العائلة الواحدة. . . في الواقع، هناك قانون بحري منذ القرن الخامس عشر يقضي بالآ يمارس مهنة الصيد إلا من كان أبوه أو جده صياداً.

- لن تفيديني سيدي في هذا الموضوع. فلقد درسته جيداً. أتعلم أن الصيادين الفرنسيين مثلاً كان لهم امتيازات كالنبلاء؟ فهم لا يدفعون الضرائب مثلاً، ولهم الحق بالعيش كأصحاب الاملاك. . . من جهة أخرى لم يمتلك ارستقراطيو اسبارطة

تعضه، تهينه إهانة إثر إهانة، تصرخ في وجهه ساخرة، توبخه وتتمتع بعريبتها. فلماذا إذن، وقد نجحت في تكدير اتزانها، تحس وكأنها شراع محروم من الريح؟ وكأنها مركب خفيف متروك تحت رحمة الطبيعة؟

ثم تصاعد غضبها من جديد. . . كم سيستجيب يا ترى هذا الكونت الى وقع الفقر، هذا التاجر الحقير عديم الضمير، الى ما قد تقوله أو تفعله؟

- حسناً يا سيدي. . . ما دمت توصلت الى تقدير قيمتي بدقة. . . هل أفهم أنك لن تطالبني بالالتزام بوعدي؟ وهل أفهم أن الزواج لن يتم؟

استند الى حاجز الجسر الضيق، ناظراً إليها بقلة اكتراث وسخرية. . . ثم قال:

- سأزوجك بكل تأكيد. . . وأعدك أن يسير كل شيء كما خطط له.

تناولا الغداء على ضفة النهر في مطعم صغير، له درج حجري طويل، يقود الى غرفة تشبه القبو جدرانها قديمة متشققة، أثانها فخم، طاولاتها مفروشة بشرائف بيضاء لا لطفة فيها.

بدأ أن تيغر معروف جداً لدى صاحب المطعم الذي استقبله بذراعين مفتوحتين، وتبادل معه الحديث المتدفق بلهجة لم تستطع اليكس فهمها. وطلب الكبد المطهون مع البصل مؤكداً أنها ستتمتع به، وإن لم يعجبها فسيزودها صاحب المطعم بالسمك النهري والبطاطا.

٥ - بين القضبان

السيدة بروماليس، والدة فيتار، مثال يوناني للأم المحبة المتعلقة بأولادها. ما من امرأة في العالم بنظرها قد تستحق شرف أن تكون زوجة ابنتها. لكنها مستعدة لتحمل ساشا الطيبة، الأنثى الطيبة التي تمتلك فوق كل هذا ميزة لا تعوض... والدأ ثرياً

وكانت هذه السيدة من جهتها أيضاً لا تطيق اليكس التي كانت تراها فظة، ثقيلة الظل، وقحة لا تظهر اهتماماً يذكر نحو تيغاروس زوجها الموعود، ولا بأفراد أسرته.

راحت السيدة تحلق بضم مشدود في كوثيسة المستقبل التي تتلاعب، بشوكتها في قطعة من لحم العجل حمرت بالزبدة.

سارعت المرأة تسأل:

- ألم يعجبك الطعام يا آنسة؟

ارتفعت يد اليكس باجفال، فالتقطت السيدة أنفاسها بعد أن علق بصرها بالنظرة الزمردية الصافية، وكانت مضطرة للاعتراف بأن هذه الفتاة غير عادية الجمال.

- ماذا؟

تسبب الرد اللفظ بتغيير رأي السيدة فالفتاة صعبة المراس،

الأراضي والاملاك حتى القرن السادس عشر، وخلال تلك العدة وضعوا قوانين لحماية طبقتهم من التلوث بالاختلاط مع الطبقات الأخرى وقد وضعت محرمات قاسية لمنع حدوث زواج بين النبلاء والعامه.. لكن رغم ذلك كان هناك بين العائلات من رغبوا في الزواج من بنات صيادي سمك.

- وهذا حق تماماً. وبما أنني عضو من تلك الطبقة أود أن أسجل تفاخري وعظيم الشرف لأن حفيده صياد اختارتني زوجاً لها.

اختارتني!.. ردت اليكس اللوم في هذا الخطأ اللفظي على طبيعتها المتوترة المتهورة. لكن وجدت أن لا مجال لتكر ما طلبته منه. وسارعت ترد:

- سيدي تذكر أن مدينتك مرهونة لأمجاد قديمة، يا سيد. فالمرء لا ينفق إلا ما اكتسب.. على كل الأحوال، كن شاكراً لأن والدي قد تحمل دفع ثمنك!

\*\*\*



لذا تجد أن ابن شقيقها قد فقد عقله! سارع والد اليكس للاعتذار بلباقة:

- اعذري استغراق ابنتي في أفكارها الخاصة سيدتي.  
فتفكيرها مشغول دون شك بالملابس والزهور وأجراس العرس.  
حين التفتت اليكس إليه تحاول الاحتجاج رماها بنظرة تهديد: تصرفي جيداً.. وإلا وقبل أن يعود الى تلطيف الجو سألته السيدة:

- كانت زوجتك أميركية سيد كورديس.. إنه جنس ذو طبع مختلف عن طباعك تماماً. ويجب أن تشارك ابن أخي في سر نجاحك مع طباع حادة. ساشا لن تسبب لابني أية متاعب، أنا واثقة من هذا، أما شقيقتها، فعلى ما يبدو تملك روح أمها واستقلاليتها.

ثم رفعت نظرها الى ابن شقيقها وأردفت:

- ستضطر يا تيغر الى أن توقف أعمالك، لتدربها على أساليب الطاعة.

نظرت اليكس نظرة حادة الى السيدة، فجمدت أساريرها المبتهجة على الفور:

- أنا لست فقمة في يدك!

وقال تيغر يوبخ عمته:

- ولا أنا أهوى دور مدرب الحيوانات عمتي.. أنت كمعظم اليونانيين، تقارنون الفتيات الأجنبية بغير حق مع بنات جنسكن، وأنتن مخطئات... وللأنكليز قول مأثور، أحب أن أذكره لك: «لا تحكم على الكتاب من غلافه» فقد يبدو لك

غلاف اليكس قاسياً لا يلين.. لكنني أؤكد لك أنني أجد نفسي أذلق به كلما قلبت صفحة أخرى فيه.

كان صوت القرف الذي بدر من اليكس واضحاً بشكل جعل وجه ساشا يتضرج وجعل عيني والدها تلمعان بقوة.  
قالت اليكسندرا:

- الأوهام التي تضلل الرجال نابعة من ميلهم للإيمان بصحة ما يوافق رغباتهم!

التوت شفتا تيغر وهو يرى الارتباك التام على وجه عمته الأحمر. ثم قطبت وهي تحاول فهم مضامين القول. وصعق الجميع من قولها حتى والدها الذي يرى أن ابنته الوقحة قد رمت مجدداً بإهانة لضيفهم.. لكن تيغر ساعد على تهدئة الجو بكل لطف:

- جدال اليكس سليم.. لكن بما أنه يتعلق بمسألة تخصها وقعت في فخ إخفاء وجهة نظرها خلف كلمات طنانة. فإذا بسطنا معاني كلماتها لوجدناها تعني أن أفكار الرجال تسير على الوجه التالي: القط حيوان ذو أربعة فوائم. والسنجاب حيوان ذو أربعة فوائم. إذن.. السنجاب هو قط. بمعنى آخر، إنها تقول لي إن الاستنتاج الذي توصلت إليه قد يكون خاطئاً تماماً.

صاح والد اليكس:

- ولماذا لم تقل هذا منذ البداية؟

ونظر الى ساشا التي كانت تمسك يد فيتار بسعادة من تحت الطاولة وهو يفكر: ألا يمكن أن ينعم الله عليّ بابتين لطيفتين

## فراشة الخبة

وخرجت من الغرفة شامخة الرأس بكبرياء، لامعة عينيها احتقاراً.

لم يمض عليها في غرفتها سوى دقائق حين دخلت عليها ساشا يبدو القلق واضحاً على ملامحها وفي عينيها النجلاوين. فنظرت الى شقيقتها التي خلعت ثوب السهرة ورفسته غاضبة: - اليكس.. ماذا تفعلين؟ أنت لن تذهبي الى النوم بعد؟ أرسلتني السيدة بروماليس لإحضارك. ثمة ما تود بحته معك. أخرجت اليكس تنورة من خزانتها، ثم طفقت تبحث عن قميص مناسب. وقالت ساخرة:

- لا أشك في أن لديها ما تود بحته معي. لكنني لا أنوي الجلوس مكتوفة اليدين وهي تلقي عليّ محاضرة عن اخطائي، مشيرة الى أنواع التصرف المتوقعة من كوثيسة المستقبل. عودي إليها وقولي لتلك العجوز الشمطاء أن تذهب الى الجحيم.. فأنا خارجة!

كررت ساشا بكل غباء متجاهلة الإهانة الموجهة لحماتها: - خارجة؟ لكن.. لا يمكنك هذا. ليس بدون مرافق... هذا غير ممكن بهذه البساطة. فستحس السيدة بالفضيحة.. أما تيغز...

- أوه.. بالله عليك! دعيني وشأني! أشعر وكأنني كلما أطلت المكوث في هذه البلاد كلما تملكني الشر! إنك كالبراقة التي لم تخرج من شرنقتها منذ سنوات، وحيثما لمسها أحد عادت الى التقوقع ثانية! نحن في بلادنا، نخرج حيث نشاء وحيثما نريد، حيناً معاً، وحين آخر منفصلتين. لو سمعت ما

مطيعتين؟ ماذا فعلت لأستحق فتاة مشاكسة سليطة اللسان مثل اليكس؟

وقفت السيدة بروماليس تشير الى الفتاتين:

- هلاً تناولنا القهوة في الصالة، تاركين الرجال بسلام حتى يحتسوا شرايبهم ويدخنوا سكاثرهم؟ كضت اليكس ذراعها على صدرها، وارتدت قليلاً في كرسيها:

- سأبقى هنا، فأنا أحب السيكار وقد اعتدت على تدخينه أحياناً.

رعد صوت أبيها في الغرفة:

- اليكس!

فتحت فمها تريد أن تناقشه في حقها بالبقاء، لكنها كانت على وشك البدء في الكلام، حين لاحظت من طرف عينيها رأساً مخبياً صاحبه تهتز كتفيه في محاولة منه لإخفاء ضحكته. فتحول غضبها عليه، فالازعاج الذي نسيبه والدها بصرخته فيها لم يكن إلا وخزة ديوس إذا ما قورن بالغضب الذي أثاره الرجل المجيرة على الزواج منه. فشدت على قبضتها، وأصابعها تنوق الى خدش هذا الوجه الاسمر، وصاحت:

- اصمت! لا تضحك علي!

أمسك تيغز بعجز بخاصرتيه وارتد على نفسه في فهقة مفاجئة، فصاحت به تضرب السجاد بكعب حذاءها:

- أنت.. أنت.. مغرور وخنزير أناني! تباً لك! لا أدري لماذا أزعجت نفسي؟

من الأزهار الفواحة الرائحة. أثناء سيرها احتك رباط خفها بكعبها، فسارت تعرج حتى وصلت الى مقهى في الهواء الطلق، فتهاوت على كرسي ووضعت حملها الملون الفواح على طاولة معدنية. وقالت للساقى:  
- قهوة من فضلك.

كانت على وشك الانتهاء من شرب القهوة، حين التقطت من فوق حافة الفنجان منظر عينين جريبتين، تستقران على وجهها.. لكن هذا المعجب لم يسبب لها الارتباك. فقد كانت تعرف من خلال تجاربها السابقة، أن أمثاله يجمدون خوفاً حين يتلقون نظرة صارمة من الجهة الأخرى.

لكنه بسبب سكوتها حرك كرسى نحوها حتى لم يترك إلا بضعة سنتمترات بينهما. وارتسمت ابتسامة زائفة على وجهه:  
- نهارك سعيد أنستي!

عندما انكشف أمامها صف من الاسنان البيضاء، أحست برغبة في ادخال قبضتها في فمه، لتحطم ما يظنه كما هو واضح أحد أمن ما لديه. لكنها لوحت بيدها:  
- اذهب من هنا.. لو سمحت!

فابتسم، وكأنه اكتشف خافية من الذهب:  
- آه.. أميركية! أنا أتحدث لغتكم جيداً. وأحب الفتيات الأميركيكات جداً.. لماذا لا تشاركتني شرابي.  
نظرت إليه بحدة:

- لا.. شكراً لك.. لو سمحت، أود البقاء وحيدة لأنتمتع بالمناظر.

تقولينه الآن من أحدهم منذ اسبوع لفرقت في ضحك جنوني، وها أنت الآن تلمحين الى أننا يجب أن نتصرف تصرفات ترفضها المرأة الحرة منذ ما يزيد عن قرن. حسناً، ربما أنت راغبة في أن يُعسل دماغك لكنني لست مستعدة! سأخرج الآن وحدي. وإذا لم يعجب السيدة نصرفي فلتنقع ابن أخيها المتكبر بإعادة التفكير في الزواج مني وبإلغائه.

ثم هرعت الى خارج القصر تشعر بالحرية، فاستقلت إحدى السيارات الموضوعية تحت تصرفها وطارت بها نحو المدينة حتى ابتلعنها الأزقة، والممرات المسقوفة المتصلة بشوارع خلفية تفضي الى ساحة واسعة.. اندفعت بالسيارة دون أن تفكر كيف ستجد طريق العودة الى القصر، وتبعث الاتجاه الذي كان يشير إليه أنفها، فنجولت في باحات واسعة عتيقة الطراز، وفوق أزقة مرصوفة بحجارة مربعة سوداء ثم لم تلبث أن أبطأت سيرها حين أبصرت عن بعد الجسر الرئيسي الكبير الذي يمر فوق نهر بورتاس الذي يربط جناحي المدينة القديم والجديد، والذي أشار إليه تيغر بفخر.. تقدمت منه واجتازته الى الحي القديم، فوجدت نفسها في سوق صاحب رافع المنظر، ثم فقدت كل أثر للزمن وهي تتمتع بالصخب المتبادل بين رواد السوق. تأملت الحلبي الذهبية، والميداليات، وأبدت إعجابها بالرفوف الخشبية المكوَّمة فوقها أكوام من البصل، والخس، والتفاح، وجوز الهند، والبرتقال.

ما إن توقفت أمام واجهة قرنفل حتى أحاط بها باعة الزهور، ولم تستطع التخلص منهم إلا بعد أن اشترت باقة كبيرة

على أثرها، وما هي إلا ثوان حتى أحاط بها جمهرة من الناس المعادين الصاخبين وقد تعاطفوا جميعهم مع الرجل الملقى أرضاً.. كانت نظرة واحدة تكفي لتؤكد أنه ابن المرأة السمينة وغاص قلب اليكس.

سمعت فوق الصراخ المعادي الموجه إليها، صغيراً مرتفع. ثم تفرق الحشد، سامحين لشرطي كانت عيناه تلمعان كالثلج من تحت قبعته. أشار الشرطي الى اليكس بالصمت وأصغى باهتمام لكل ما كانت تقوله له المرأة السمينة، ثم بدأ بكتابة ملاحظاته متجاهلاً احتجاجات اليكس.

فقدت هدوءها حين وضع يده على كتفها وبدأت بالصراخ: - هذه المرأة مجنونة! لم أكن أنوي قتل ابنها. كنت فقط أذاع عن نفسي.. لو حدث شيء كهذا في أميركا لطالبت بكل سهولة أن يسجن هذا الرجل بتهمة التهجم اللا أخلاقي. اسمع.. أستطيع إثبات ما فعله!

نسيت حشمة اليونانيين المعروفة ورفعت تنورتها لتبحث عن آثار قرصته التي آثارها على ما تعتقد ظاهرة على جنبها. وتصاعدت شهقات الرعب من النساء وصيحات الاستحسان من الرجال، فاستعادت عقلها وأحست بالخجل وكأنها ارتكبت جريمة بشعة ثم سرعان ما غطت مكان الكدمة. فقال لها الشرطي:

- سنأتين معي أنتي.. أنا أنهمك بالعنف وإهانة الاخلاق العامة.. لا تجادليني. أنتن الاجنبيات مزعجات، تفوين أبناءنا، وتقلقن بناتنا، وتزعجن آباءنا بطرفكن المشينة. لو كان

لكن ابنسامته لم تتغير، فتهتدت اليكس، إنه لمن سوء الحظ أن يكون لبنات بلادها هذه السمعة السيئة، لذا شعرت بأن عليها أن تدافع عنهم وذلك بأن تشرح بطريقة حاسمة الفرق بين الحرية وفساد الاخلاق، لكنها لم تكن تنوي جر نفسها الى نقاش مع هذا المزعج المترهل.. لذلك عضت على شفتها، ونظرت إليه نظرة صخرية تمسخه الى مصاف ذبابة على جدار. لكنه أمام غضبها تقدم أكثر حتى لامس كرسيه كرسبها فهمس بأنفاس تعبق فيها رائحة الثوم.

- أنتحين الرقص؟ أعرف مكاناً قريباً...

- لماذا لا تذهب وتلقي نفسك في النهر؟

دست خفيها في قدميها، ثم وقفت استعداداً للرحيل فأدارت ظهرها الى الرجل الذي آثارها وجوده، لكن وبينما هي منحنية تلتقط الأزهار، أحست باصبعين تقرصانها.. وهذه حركة في الظروف العادية قد تجعلها تضحك، لكنها الآن أدت الى غضب أبعد بكثير عن سيطرتها. وقد زاد هذا الغضب من قوة ذراعها التي علت بقوة وهي تحمل الحقيبة التي حطت على رأسه. رمته الضربة عن الكرسي الى الرصيف. كان تعبير الاستغراب وعدم التصديق على وجهه مضحكاً.. مما اضطرها للضحك.

أما الأحداث التالية فكانت أشبه بفيلم هزلي.. فبينما كان العاشق الاسبارطي يتألم عند قدميها.. يصرخ من الألم المصطنع، برزت امرأة سمينة، من داخل المقهى تشهق وتزبد ملوحة بمكنسة خشبية في اتجاه اليكس. وتدفق زبائن المقهى

٦ - سأكون لك

أعطيت عند الساعة الخامسة من الصباح التالي، وعاء فيه ماء وقطعة مربعة وسخة، أطلقوا عليها اسم منشفة إضافة الى قطعة صابون كريهة الرائحة. ارتجفت من القرف، ورمت الماء فوق وجهها، ومسحت عينيها اللتين لم تذوقا طعم النوم جيداً. بعد أن جففت وجهها بالمنشفة، مشطت شعرها بأصابع مرتجفة، متمنية استعادة مشطها من الحقيقة التي صادرتها الشرطي..

أنعشها غسل وجهها ويديها.. فجلست على حافة البنك الخشبي تحس بالجوع، وبالغثيان في الوقت نفسه... وكان هذا أفضل لها، فحين وصل الفطور نظرت الى القصة المعدنية التي تحتوي على طعام بني اللون غير معروف لها، ودفعتها جانباً.. وجلست تراقب الشمس في تصاعدها من خلال النافذة الصغيرة المرتفعة لكنها لم تلبث أن اختفت عن ناظرها تاركة الزنزانة مرة أخرى أكثر ظلاماً وتجهماً.

رفض الشرطي العابس الوجه الاصغاء الى توسلاتها حتى تتصل بوالدها. فبعد غياب ليلة كاملة لا بد أن الجميع فلتن عليها.

لي السلطة لمنعتكن جميعاً من دخول البلاد.. لكن سلطتي تشمل القدرة على سجنك.

كان الرجل الجهم الوجه الجالس وراء طاولة في مركز الشرطة، أحط من أن يكون بشرياً، فقد أصر على أن يكتب الأكاذيب التي قيلت عن اليكس.. ثم، دون أن يرفع رأسه.. لوح بيده ليبعدها عن نظره، فكان أن رافقها شرطي، اقتادها الى ممر مظلم ومنه الى درج، وبعد ذلك دفعها الى غرفة مظلمة، ليست بحجم خزانة في قصر تيغاروس.

كانت الزنزانة الباردة، التي لا راحة فيها، والفراش القاسي، والوسادة الملبدة، حقيقة.. فرمت نفسها فوق البنك الخشبي وأسندت رأسها جانباً فلامست جبهتها قضباناً فولاذية باردة وراحت تفكر ليس في والدها الذي سيغضب، أو في شقيقتها التي ستحس بالفضيحة، أو في صهر المستقبل، بل في الكونت البارذ الاعصاب، فتمنت ييأس للمرة الأولى أن يكون الآن الى جانبها.

تدفقت الكلمات منها بغصة تقول لنفسها:

- أوه.. اليكس.. يا فتاة.. لقد فعلتها هذه المرة!  
وسيكون أمامك جحيم لتدفعه!

\* \* \*

الشوارع وحيدة، في وقت متأخر.. وقد أحدثت شجاراً في مقهى عام... فاستدعينا.. ماذا تريدنا أن نظن؟ لم يكن لدينا بدليل عن توقيفها!

لم يرفع تغير صوته. نمر اسبارطة لا يزلزأ أبداً.. إنه وحش دون أنياب... لكنه قال لهم ببرود يسكتهم:  
- يكفي! سأعود إليكم فيما بعد.

أحست حتى اليكس المتقدمة، بالغضب المكبوت في كلماته المختصرة الحادة، وأحست بالتعاطف مع الرجال الذين صمتوا بقلق، لا يقطعها إلا وقع أقدام حزينته، وسعال محرج.

حين وصلا إلى القصر، أخذ زمام الأمر بيده.. ففي الردهة الرئيسية، كان ينتظرها والدها وساشا وفيتاز وأمه الذين أطلقوا وابلًا من الأسئلة، حتى لم يكادوا يتكلمون لها فرصة للرد:

- اليكس.. ماذا حدث بحق الله؟

- اليكس.. أين كنت؟

- هل لي أن أسأل أين قضيت ليلتك آنسة؟

- لماذا لم ترسلني رسالة، كادت ساشا تموت فرحاً عليك!

أقبلت خادمة استجابة إلى جرس رنه تغير:

- شيلا.. رافقي الآنسة إلى غرفتها، ثم أعدّي لها حماماً ساخناً، وطعاماً خفيفاً، ودعيها تنام.

فاحتجت ساشا:

- لكن تغير..! يجب أن نعرف...

- ليست شقيقتك بحالة تسمح لها بالاجابة عن أي سؤال..

قد ترضي فضولكم فيما بعد، لكن حتى ذلك الوقت أصراً على

لم يكن لديها فكرة عن الوقت، لكنها تلقت وجبة أخرى، ورفضتها كذلك، قبل أن تسمع صليل مفاتيح، ووقع خطوات مستعجلة، وصوت مستنكر، غريب اللهجة لكنه مألوف وهو يصبح في وجه شخص سيء الحظ.

قفزت واقفة، وتقدمت إلى الأمام، حتى يستطيع تغير القادم، رؤية منظر جسد خائف متقوقع وراء القضبان.

- افتح الباب!

وانتظر بوحشية وهو يرى الحارس المرتعش اليدين يتعثر في اختيار مفتاحاً من بين هذه المفاتيح كلها. وعندما انفتح الباب، فتح تغير ذراعيه واستقبلها.

كان اندفاعها إلى ذراعيه بالنسبة إلى اليكس، طبيعياً بل أكثر من طبيعي. فقد طارت من باب الزنزانة ورمت نفسها بين ذراعيه المفتوحين، دافئة وجهها في كتفه، مرتجفة فاشتدت ذراعاها حولها بدائرة حامية. ومسحت شفتاه جبينها وهو يتمتم بجمل حنونته تبعث الاطمئنان. واساها حتى توقفت عن الارتجاج ثم اقتادها عبر الممر وهي ما تزال ملتصقة به، فارتقيا الدرج إلى ضوء الشمس الساطع في مكتب مركز الشرطة الرئيسي.

سمعت لغطاً كثيراً وخطى متسارعة، ونقاشاً حاداً.. لكنها أبت رأسها مدفوناً في كتف تغير، تخجل من دموع الضعف التي بللت وجهها.

راح صوت فيه سلطة يحتج:

- سيدي.. كيف لنا أن نعرف؟ كانت الفئاة تتجول في

عنك، ثم اتخذ بيتي ملاذاً أخيراً. لقد أظهر لي أسفه الشديد لأنه أزعجني ونقل إليّ الخبر المشؤوم، لكنني رفضت البقاء في بيتي قبل أن أعرف مصيرك. فاصطحبني إلى قصره. . . لقد اخترت زوجاً رائعاً يا طفلي! رجلاً قلب المدينة رأساً على عقب بحثاً عنك.

انتفضت اليكس، وهي تتصور تغير في حالة اضطراب شديد. إن ذلك لبعيد عنه، فأمثاله لا يتزعجون لأمر نافه كضياعها، فقالت:

- أظنك أسأت الحكم عليه تينا. لا أظن الكونت يسمع لنفسه بالانزعاج. . . إنه بارد هادئ في كل الأوقات. . .  
- منذ متى تعرفين الكونت؟

ها قد حانت لها فرصة اكتساب حليف. . . إنها تحب جدتها حباً عظيماً وتعرف أنها تبادلها الحب. . . ربما يتمكنان بواسطة حكمتها من إيجاد مخرج لمأزقها. . . أجابت:

- منذ بضعة أيام فقط. . . وقد حدثت المخطوبة نتيجة رهان سخيف. لكن الكونت أصرّ على تنفيذ الوعد. . . لأنه يحتاج إلى «الدوطة» التي سيقدمها له بابا.

لم يبدو الاضطراب على الجدة، بل هزت كتفها وقالت:  
- إذا كانت هذه هي القصة. . . فأنت محظوظة. احمددي ربك لأن رهانك وقع على شاب وسيم كالكونت بيرتاكس، لا على شبه رجل عجوز بشع، منظره يبعث الاشمئزاز إلى شابة مثلك.

وضحكت كأنها تذكر نكتة خاصة:

أن تترك بسلام لتسترد قوتها مما حدث لها. اذهبي الآن مع شيلا يا اليكس. إذا أحسست بأنك بخير انضمي إلينا على العشاء.

أحست للمرة الأولى بالراحة لتنفيذ ما تؤمر به. . . كان رأسها يؤلمها. . . وجفناها يرفضان البقاء مفتوحين. خطت بشوق إلى الحمام الذي أعدته لها شيلا ثم لما انتهت من الاستحمام عادت إلى غرفتها، ورائحتها تعبق بالعطر والصابون والبودرة. ففرقت في فراشها نائمة قبل أن تضع شيلا الغطاء فوقها.

بعد ساعات، تحركت. . . فتحت عينيها، ثم استلقت مثابرة على ظهرها فسمعت صوتاً حبيباً إلى نفسها يقول:  
- آه. . . أخيراً عدت إلينا يا طفلي!

أدارت عينيها الناعستين نحو الجسد الجالس على كرسي قريب من السرير، وصاحت بجذل:

- جدتي تينا! ماذا تفعلين هنا؟

- لقد أحضرتني هذا الصباح خطيبك الفاتن!

- خطيبتي. . . ؟ آه. . . تعنين الكونت!

- طبعاً. . . أليس هو من اخترته زوجاً؟

- حسناً. . . صحيح. . . لكن لست أفهم تينا. . . لماذا أحضرك إلى القصر؟

جدتها. . . امرأة صغيرة الجسم، نحيفة ذات أسارير حلوة، وفم قد يظهر صارماً كما قد يظهر مبتسماً:

- حين قال لي إنك مفقودة طلبت منه نقلي إلى قصره. لقد أحضرتني في ساعات الفجر الأولى، وكان قد جاب المدينة بحثاً

## فراشة الخيبة

- لقد أسأت الحكم عليك يا طفلي .. يقال إنك تحملين أطباع أمك، لكن في هذا الامر أنت أشبه بأبيك .. فمن المستحيل اجبار أي منكما على قبول وضع لا يعجبه .. وها أنت تقولين إن الكونت لا يعجبك وتشكين في دوافعه غاضبة منه لاصراره على اتمام الزواج. فكري ملياً يا طفلي وكوني صادقة مع نفسك كصدقك مع الآخرين .. ألا تحمدين الله لأنك تمكنت رغم ادعائك الفارغ بعدم الرضى، من أسر الرجل الذي تريدین؟

- تينا ..! إنك تنزليني بتلميحك الى مستوى السخيفات مثيلات ساشا، اللواتي لا يتجاوز طموحهن إيجاد زوج! أنا عكسهن تماماً .. فالرجل الوحيد الذي أريده في حياتي هو الرجل الذي أستطيع تشريح جمجمته. نعم أنا لا أرفض صحة الرجال، لكن في الوقت المناسب والمكان المناسب .. أما الزواج فليس جزءاً من مخططاتي. لذا تزعجني تلميحائك هذه وتبعث الى نفسي تعاسة كبرى!

لم يظهر على الجدة الناثر وهي تقف:

- مسكينة اليكس .. ليتني أستطيع توفير مرآة لنفسك! أشعر بالأسى على فتيات هذه الأيام، اللواتي يعشن في عالم يسمي جهده لیسلاً، نهار لتغيير طبيعة المرأة وليجردها من أنوثتها، وذلك باقناعها بأن الزواج قيد وهذا العالم لا يكفي فقط بما ذكرت بل يجعل النساء يرفضن أقدس شيء في الحياة وهو حمل الاطفال. عليك يا حبيبتي أن تحاربي هذه الدعايات

المغرضة. وإلا، ستضوون جوعاً لا من نقصان الخبز بل من نقصان الحب.

تركتها جدتها حتى ترتدي ثيابها، فكان أول ما فكرت فيه أن الجدة قد أصبحت عجوزاً تثير الشفقة لا تفهم الحياة العصرية. ارتدت فستان سهرة أسود دون أكمام، مفتوحاً عند الظهر، لا يعلق على كتفها منه إلا رباطان رفيعان. وكان هذا الثوب يتطلب ممن ارتدته الهدوء ورباطة الجأش لأنه سيخطف الأنظار ويجلب شهقات الأعجاب من كل صوب وحذب. وما ارتدته إلا لأنها شعرت بأنها بحاجة الليلة الى الدعم المعنوي الذي قد يعطيها إياه الفستان .. فهي إذا أرادت اكمال الطريق، ستحتاج الى كل ما لديها من أسلحة.

كانت تضع للمسات الأخيرة علي وجهها حين دخلت ساشا .. التي نظرت الى صورتها في المرآة وشهقت:

- أوه .. اليكس .. لست في مزاج التحدي مرة أخرى!

استدارت بهدوء إليها:

- عمّ تتحدثين؟

ردت مقطبة:

- إن شيئاً ما يستحوذ على تفكيرك كلما ارتديت هذا الفستان. أنت تتمتعين جداً بصدم الناس .. أرجوك اليكس .. حاولي التصرف بلباقة الليلة. پاپا غاضب جداً منك. والسيدة برماليس وفتنار مصدومان مرتبكان من تصرفاتك. أمّا تيفر ..

استدارت اليكس نحو شقيقتها متحدية:

- أجل .. اخبريني عن تيفر. أصدِم هو الآخر؟ أشعر



كفبه وقال شيئاً عن قطة صغيرة أصبحت نمرة، وهو ما لم تفهمه لكنه أرضى بابا، لأنه لم يعترض. ثم لعينا الورق ساعة أو أكثر لم نذكر خلالها اسمك ومع ذلك كان غيابك معلقاً فوق الرؤوس كغيمة سوداء... ثم حين حل منتصف الليل، ما عادت السيدة قادرة على كبت غضبها، وبدأت ترغي وتزيد تطالب تغير بالغناء الزوج، قائلة إنك لا تليقن به عروساً وإنك ستلحقين العار باسمه. لكن تغير لم يرد رغم قلقه بل نحّاهما جانباً ثم خرج من القصر باحثاً عنك، فجعل تصرفه السيدة نجن وتستدير الى بابا... وكان الامر فظيماً يا اليكس! فقد كانت كلماتها مهينة حتى عجز بابا عن تحملها.. وعندما اتهمتك بالانحلال الخلقي، فقد أعصابه وطفقا يتشاجران، وبعد عدة اتهامات مريرة.. دفعت السيدة بأبي الى الجنون وذلك حين قالت إن والد الكونت سيثور في قبره لفكرة زواج ابنه من فتاة وضيعة.. فصاح بابا بها:

- إذا كانت إحدى ابنتي لا تناسب عائلتكم سيدتي، فلن تناسبها الأخرى! وبهذه الحالة، لن يتم زواج ابنك بساشا.. وأعلن الآن رسمياً سحب موافقتي!

وعادت ساشا الى البكاء، فتمننت اليكس:

- يا إلهي!

تركتها اليكس تبكي، ثم راحت تذرغ الغرفة. يجب القيام بشيء ومع إنها لا تعطف كثيراً على فينار، الذي تعتبره ضعيفاً مذئذب الشخصية، خاضعاً لأوامر أمه، إلا أنه يمثل لساشا كل ما تصبو إليه في الحياة، لذا ليس أمام اليكس إلا حل واحد

بالغضب والخجل؟ أعترف أنه كان خجلاً حين أخرجني من السجن هذا الصباح. لكنه رجل مهذب جداً لا يُظهر عادة سخطة أمام سيدة تعاني من الضيق. قولي لي ما رأيه ساشا؟ هل نجحت في خداعه بشأن ما حدث بالأمس؟ هل استطاعت عمته إقناعه بأنني لا أصلح زوجة لكبير عائلة بيرناكس؟ هيا.. اخبريني، ما هي الكلمات القاسية التي قيلت عني أثناء غيابي؟

وقفت ساشا في عجز كامل، ثم راحت شفتها ترتجف، وتوقعت على نفسها ككرة من الهم، رامية نفسها فوق سرير اليكس تشهق بالبكاء.. ولم تكن تمثل هذه المرة.. بل كانت دموعها دموع اليأس، فأمسكتها اليكس وهزتها:

- ساشا.. ما الامر؟ أكنت قلقة علي؟ أنا آسفة إن أفلتت.

ما قصدت..

ارتفع رأس ساشا، والكرهية بادية على وجهها.

- أنت آسفة؟ لست آسفة مثلي.. إنني آسفة لأن سعادتي بين يدي فتاة أنانية قادرة على تحطيم حياتي... آسفة لأنك لست شقيقة نهمها مصلحة شقيقتها. أنت أنانية، عنيدة، لا تهتمين إلا بتنفيذ أهوائك حتى وإن حطمت حياتي!

جلست اليكس قريبا على السرير.. لم تكن ساشا تشكو هذه المرة مما قد يحدث، بل من شيء قد حدث فعلاً:

- اخبريني ما الامر!

شهقت ساشا، واستلقت على ظهرها:

- حين خرجت من القصر ليلة أمس، فنشت السيدة بروماليس عن الكونت، تطالبه بأن يلحق بك ليعيدك. لكنه، هز

حدث ليلة أمس. فالشرطة رفضت الإصغاء الى أقوالي لكنني أعلم أنك ستصغي إليّ.

واستمع تبغر إليها بصمت وإحدى ذواعيه تستند الى رف المدفأة.. كانت تتحدث بسرعة دون أن تعطيه فرصة لمقاطعتها.

ارتجفت شفتاه مرة حين ذكرت حادثة «القرص» ثم غدا مزاجه ازدراء حين أنهت تفسيرها. ولم تلبث أن طفقت تقول في جمل مفككة تشير الى استعدادها للتعويض عن الضرر الذي أحدثته أفعالها.. وأكملت:

- يبدو لي الآن، أن لا بديل آخر عن الزواج... وهذا واجبي الأول تجاه شقيقتي. أما عمك فأظنها نادمة على ملاحظاتها التي قالتها عن غير تفكير.. لكن بابا لن يهدأ بسهولة.. لذلك إذا استطعت بطريقة ما اقناعه بأنني حقاً أريد الزواج منك، فلن يعترض. فزواجنا سيزيل كل عائق يهدد سعادة ساشا.

رفع تبغر رأسه بحدة:

- اعذري بسلامة ذهني، لكن ما أعرفه أنك وعدتني بالزواج.. والتحضيرات جارية على قدم وساق منذ عدة أيام. وها أنت تتحدثين عن توصلك الى قرار في هذه اللحظات!

- أعلم أنني وعدتك بالزواج. لكنني ما كنت لألتزم بذلك الوعد. كان الوضع بالنسبة لي دائماً غير منطقي، وغير واقعي، كمدبنتكم التي تعيش على أمجادها الغابرة، نساؤها يرفلن في عبودية الرجل، الذي يتصرف على هذا الاساس فهل تلومني

وهو المضي قدماً بزواجها من الكونت. إنها الطريقة الوحيدة لانفراج أسارير أبيها المتجهمة، وحتى لا تؤثر العمه على ابن أخيها، وحتى تخمد صوتها عليها أن تتم واجبها تاركة الباقي لله. وإذا كان الكونت ما يزال مصراً على الزواج منها كونها صفقة رابحة، فليحدث البيع إذن!

سعت إليه، تتوقع منه الاستهجان.. لكنه حين التفت إليها وضع على وجهه قناع التهذيب، وقال لها كلاماً فاجأها:

- أنت لا ترتدين فلاتك.. ستبدو رائحة مع هذا الفستان.

- لا أوافقك الرأي، فأنتم تميلون حسب عاداتكم، الى تلوين الزنايق، أما نحن، فنعتبر البساطة أشد تأثيراً.

- تقصدين أن الجمال لا يحتاج الى زخرفة.. هه؟ في هذه اللحظات لن أجادلك.

كبحت بقوة أي أثر للسخط أو الألم في صوتها لتقول بكل هدوء:

- جئت معتذرة!

- إن اعتذارك مبرر هذه المرة. فقد عانيت الأمرين من ساعات القلق ليلة الامس.

التفتت دهشة لأن صوته بدا مخنوقاً، ثم قررت أنها مخبئة.. فرفعت رأسها تقاوم الوهن الذي شعرت به:

- لقد أخبرتني ساشا عن الشجار الذي جرى وأريد أن أفعل ما يوسعني لإصلاح ذات البين بين والدي وبين السيدة بروماليس.. لكن قبل هذا.. يجب أن أقص عليك تفاصيل ما

رددت اليكس الكلمة الكريهة:

- الحب؟ الحب لن يتزعج أبداً الكراهية التي تعتمل بها  
نفسى تجاهك.  
هز كتفيه:

- الحب والكراهية، ميزتان لعاطفة واحدة. لكن ما يهم  
الآن أنك ودعت أوهاملك الى الابد. ربما بعد أن انتزعتك من  
مهد لامبالتك قد تبدئين بالاحساس.  
جرى دمها بارداً في عروقها وهي تنظر الى وجه غريب..  
إنه نمر لا زئير له حيوان لا عضة له.. لكن كل شرور الغابة  
كانت حوله. فكيف فشلت في رؤية هذا؟ كيف استطاعت أن  
تنسى، أن من بين كل مخلوقات الله، هناك مخلوق لا يمكن أن  
يكون عبداً للوسط..



على موقفى بعد الحياة التي عشتها في حرية كاملة؟

تحرك بخفة قط، فقصر المسافة بينهما. لم تكن لتصدق أن  
قبضته قد تكون فاسية هكذا، وما كانت لتظن أن أصابعه قد  
تحفر في لحم كتفها حتى الألم.. كان غاضباً جداً.. لاحظت  
هذا وهو يحرك قبضته عن كتفها ليضع يداً على عنقها، ثم  
يخفض الاخرى الى خصرها ويشدها نحو صدره.. التمتعت  
عيناه بغضب بارد، والتوى فمه بوحشية من يتوي العقاب.

عانقها عناقاً واحداً، عناقاً دام طويلاً، بدأ تحديداً بين  
شخصين فولاذيين صلبين لم يلبثا أن تحولا الى معدنين ذاتيين،  
ثم غدا عناقهما لهيباً كاسحاً فبركاناً ينفث حمماً من مشاعر  
مضطربة.

وأحسست في أحضانه أنه يسمها لمدى الحياة.. ليس  
بشكل بارز كالشامة التي على كتفها، والتي يضغط عليها الآن  
بيده، لكن بشكل يعرف فيه العالم كله بمجرد النظر إليها، أنها  
ملك له.

لكنه تركها فجأة حتى ترنحت وتهاوت عليه، رأسها  
الأصهب واهن وكأنه عود ثقاب مكسور.. فسارعت تدعم  
نفسها بكثفه.. وجاءها صوته وكأنه قادم من بعيد رقيقاً، هادئاً،  
ليس فيه تأثر يذكر من عناقهما.

- لا شيء يصح حقيقة حتى تختبريه، يا طفليتي.. وأنا  
أسف لأنني أيقظتك من حلم.. لكنني لن أسمح بأن تتورطي مع  
رجل تنظرين إليه كظل.. فأنا كائن بشري مثلك تماماً ونحن  
سنجد معاً الحب في الزواج.

وانطلقت السيارة نحو الكنيسة مزدانة بشرائط وردية اللون من الساتان والزهور، يتبعها صف طويل من سيارات تنقل الضيوف... لم تكن الكنيسة بعيدة عن القصر.. لكن سيارات المازة أوقفت جانباً، حتى نمر سيارة العروس وسيارات الضيوف. وراحت هذه السيارات المتوقفة جانباً تطلق أبواقها تحية. فأجبرت اليكس نفسها على رد التلويحات الودية والابتسامات المرححة التي يطلقها المتفرجون المصطفون على جوانب الطريق.. لكن قلبها أخذ يزداد ثقلاً مع مرور الدقائق حتى توقفت السيارة أخيراً أمام الكنيسة وخرج الكاهن فوراً متسماً ليستقبلها، فأحست بجسدها يزداد وزناً.. وتناهى الى أنفها مزيج من عبق البخور الشرقي وأريج الزهور، لكنها راحة علفت في حلقها مما جعلها تسعل.

كانت خلال الاسابيع التي انصرمت قد أصبحت بليدة الحس، خاملة كل الخمول، مشلولة الإرادة.. وكأنما الضغط المشترك ما بين تيغر وفيتار ووالدته، وساشا ووالدها حطم لها روحها المعنوية. وحول القطة الشرسة الى حمل وديع.

حين دس الكونت خاتماً ثقيلاً في اصبعها شهقت وسحبت يدها دون عمد.. لكن تيغر كان مستعداً لمثل ردة الفعل هذه، فأمسك بمعصمها وتابع دس الخاتم في مكانه. ثم انتهى الامر وأصبحت والكونت رجلاً وزوجته..

بدأ أولاد الكورس يغنون على أنغام الأرغن وراح الضيوف يضحكون ويتحدثون. أما الكاهن فابتسم سعيداً فخوراً بعد أن حكى عليها بالسجن المؤبد.

## ٧ - العروس الذهبية

أشرقت الشمس يوم زفافهما براقه ذهبية.. عندما خطت خارج القصر متعلقة بذراع أبيها، بدا لها كل شيء يلعب.. وكأنما الفنانون رموا ألوانهم فوق الطبيعة أو الجنيات لوحن بأجنحتهن فوق المباني ناثرين عليها الالماس.

كانت سيارة الكونت الفخمة التي تحمل شعار عائلته على بابها تقف أمام الدرج. وحينما ولجتها، قدم لها أحد الخدم يد المساعدة، ثم رتب لها بسرعة الخمار فوق المقعد المخملي... طالبت السيدة بروماليس بمراسم زفاف تليق بعائلة بيرتاكس.. ففي الأيام الغابرة كما أصرت، كانت عرائس اسبارطة حديث كل أوروبا بسبب روعة ثيابهن وعظمة حفلات زفافهن. لذا اهتم بتصفيف شعر اليكس أمهر مصففي الشعر النسائي في المدينة، فبدأ شلالاً حريراً أحمر برّاقاً، كان قد رُدّ الى الخلف لينسجم مع الاكليل الذهبي الذي ترتديه عرائس عائلة بيرتاكس، أما ما تبقى من الشعر فجُدّل بخيوط ذهبية. كانت كتفاها عاريتين، وثوبها، الذي توارثته العرائس أجيالاً إثر أجيال طويلاً، مضموم الخصر، من الحرير الثمين المطرز بخيوط ذهبية.

أحني تغير رأسه، وقبل أن تستطيع الحراك قبل عروسه وتمتم:

- فليدم زواجنا الى الأبد حبيتي!

لكنها قالت بطريقة لا تليق بعروس:

- ليس إذا كان بإمكانني أن أفسد الأمر!

ارتفع حاجباه، أولاً ثم لم يلبث أن سار معها في ممر الكنيسة مبتعداً بها عن المذبح، باتجاه السيارة المزدانة التي يرتسم على أبوابها شعار العائلة وعلى مقدمتها تمثال نمر ذهبي يلمع تحت أشعة الشمس.

كان في القصر الاحتفال الكبير وكأنه احتفال بنصر حربي سيدته ومصممته السيدة بروماليس التي كانت في أحلى حالاتها، وكيف لا وسيكون بين يديها ما يكفيها من مال لاستعادة أمجاد الأمس..

تقدمت منها ساشا وهما يقفان لاستقبال الضيوف عند باب القصر.

- هل أحضر لك شيئاً اليكس؟ أنت جائعة دون شك فلم تتناولي الفطور، ولم تتناولي عشاء أيضاً ليلة أمس.

كانت قلقة مهتمة بأختها التي أصبحت تعتبرها الآن حليفاً لا عائقاً. فسارع تغير يرد عن اليكس التي لوحث يدها رافضة:

- أجل.. أرجوك ساشا.. احضري لها شيئاً.. فنحن مضطران للبقاء هنا فترة طويلة..

لكن اليكس أصرت ببرود:

- لا تزعجي نفسك.. فقد قاضت نفسي مما دخل إليها من شياطين في يوم واحد.

لم يكن هناك مجال للخطأ فيما تقصد، فشبهت ساشا:

- كيف تلمحين الى أن تغير شيطان.. إنه سيد مهذب!

نظرت إليها اليكس نظرة متحجرة:

- حسب وصف الكتب، يظهر الشيطان في كثير من الأوقات في ثياب رجل مهذب!

ارتفعت كتفا ساشا ييأس، ترمق تغير بنظرة اشفاق. وقالت له متوسلة:

- كيف ستتمكن من تطيعها تغير..؟ لقد أوصلتني وياها الى حافة الجنون، فما الذي تستطيع القيام به ما استطعنا القيام به نحن؟

- ربما لسان رقيق عذب.

كان رده الرزين يحمل نوعاً من الصد لم يعجب ساشا. فالكونت قد يكون قاطعاً بارداً متى شاء.. أحست للمحطات بالاشفاق على اليكس، التي طالما كانت تقول إن اسلافه من النمر لم يكونوا سوى قطة لا أنياب لهم. وهزت رأسها عاجزة فظباعهما أكثر تعقيداً مما قد يستطيع فكرها تصوره. وما هي إلا لحظات حتى ارتدت على عقبيها باحثة عن فينار.. ما أسعدها أن طباعه تختلف كثيراً عن طباع ابن خاله. الرجل الذي يجعلها ترتجف، الرجل الذي تراه غير قادر على التمتع بنصر دون معركة.

بعد الانتهاء من استقبال الضيوف، رفع تيغر يدها الى قمة يقبلها.

- لقد تصرفت بشكل رائع اليوم عزيزتي.. في الواقع، خلال الاسبوع المنصرم بدوت طيعة. فهل اعتدت أخيراً على فكرة الزواج بي؟ إنه لمن الرائع أن يبدأ شهر العسل بتناغم لا بنفور.

تجتمع كل إحباطها وخيبة أملها في النظرة التي رمقته بها.  
- إذا كنت تظن هذا.. فأنا إذن ممثلة بارعة أكثر مما توقعت. إن أسعدك تصرفي فقد أسعد بابا أيضاً، وهذا هو هدفي الأساسي. لكن بما أننا متزوجان الآن، ولن يتمكن من التراجع عن وعده بزواج ساشا وفيتار فسأعود الى طبيعتي بإضافة قسم آخر الى القسم الذي تفوهت به. لك وعدي سيدي، من الآن وصاعداً أن تندم على قبولك بي زوجة!  
لكن الكونت هز كتفيه بهدوء، وقدم لها ذراعه بأدب قائلاً:

- ضيوفنا بالانتظار. لذا أرجو أن تكملني تمثيلك ساعتين آخرين مظهرة نفسك بمظهر العروس السعيدة.

رغم صعوبة الأمر إلا أنها نجحت في أن تفعل ما طلبه منها، فاختلطت بحرية مع الضيوف، تضحك، تتحدث، بطريقة لا شائبة فيها، تتعرف الى الأقارب والى المعارف ميتسة، لكنها وهي بينهم توقعت رؤية جانيت، الفتاة التي عذبها اسمها منذ سمعته من فيتار وهو يمازح الكونت قبل أن تعرفه. لكن التعارف هذا لم يتم.

قال أحد اعمام تيغاروس له:

- ما هذا الملاك الذي أحضرته الى العائلة يا تيغر؟

- لكنها ملاك ذو طباع حادة يا عمي...

فضحك العم:

- طالما فضلت الطباع الحادة على الخنوع.. فأنا أنظر الى الخنوع كتيقة، بينما أعتبر الطباع الحادة فضيلة صادقة. فقالت اليكس بدلال:

- هلاً عذرتني يا عم؟

وأمسكت بلراع تيغر بطريقة متملكة، وقرصته سراً.. فابيضت شفتاه غيظاً لكنه لم يتحرك بل غطى بيده أصابعها التي تقرصه، ثم ضغط عليها حتى كاد يسحقها، فما كان منها إلا أن تركت لحم ذراعه من بين أصابعها. وبعد ذلك عادا يتبادلان الحديث المهذب مع عمه.

استمر تألقها طوال السهرة حتى أشار الى ساشا ليكلمها همساً:

- واجبتا انتهى.. بإمكاننا الانسحاب دون إغضاب أحد.. فيسقى معظم الضيوف ساعات أخرى، وأعتقد أنك ووالدك وفيتار وأمه قادرين على التعامل معهم.. ربما ترافقين اليكس الى فوق لتساعدوها على الاستعداد لرحلة شهر العسل. أظنها متعبة.

لم تجادل للمرة الأولى اليكس وكانت حكيمة بذلك لأنها كانت تحس فعلاً بالتعب، والاكتئاب، والحيرة، في آن. وتسارع الدم حاراً في عروقها وهي تفكر في العزلة التي ستفضيها مع الرجل الذي تزوجته لتوها. سيفضيان شهر عسلهما

ساعدها على الخروج من المركب دون أن يعلّق بكلمة واحدة ثم ترك يدها في يده، وسار معها على ممر متصاعد، تحف به حديقة خضراء، في وسطها قبلا تغطيها نباتات بيضاء، مزروعة ببراعة لتتسلق حتى تعطي أقصى ما يمكن من امتصاص لحرارة الصيف. كان يعلو المبنى الضخم سقف مزدوج متشابك، ممتد من الأعلى نحو الأسفل وكأنه شراع أُعِدَّ لالتقاط الريح، تدعّمه عواميد رفيعة مرتفعة، أضفت على المنزل مظهر التوازن الدقيق، المرتكز ما بين البحر والريح.

تقدما حتى ارتقيا درجاً يقع في نهاية الممر المرتفع الى الأعلى، ثم دخلا ردهة باردة سقفها قرميدي. وقال لها تيغر شارحاً:

- هذا الدرج يصل ما بين مدخلي المنزل. أحدهما من الأمام، والآخر هو الذي استخدمناه لتونا، من الخلف. وهو يقسم المنزل الى قسمين. غرفتك هي التي تحت السقف القرميدي. والغرفة الصغرى التي تحتها غرفتي.

أطلق الارتياح عقدة لسانها:

- هذه السقوف العريضة الممتدة مميزة جداً. إنها كجناحي نسر بحمي عشه.

ضحك على وصفها، وبدأ عليه السرور:

- لم تصمم على هذا النحو هباء، بل صنعت بدكاء حتى تجمع مياه المطر في الحوض ولتقلل المنزل في قبط الصيف. وبما أنه من الداخل خال من الجدران. فالهواء يدور بسهولة. وكما ترين، الجدران مشروكة دون اتصال بالسقف لإفراح

في قبلا تقع على شاطئ جزيرة تستخدمها العائلة خلال الصيف. نعم لقد ارتعبت عندما سمعت اقتراح تيغر، لكن أخفت رعبها واعتراضها لأن أباهما كان موجوداً حينها، وما قبلت بخطته إلا لتخمد غضب نيفولاس كورديس «أبيها».

اجتمع الضيوف في الباحة وأمام المدخل ليلوحوا للعروسين. كان الوقت ما يزال باكراً في المساء. . . حالما وجه تيغر السيارة الى قرية الصيادين حيث ينتظرهما المركب الذي سيحملهما الى الجزيرة، جلست اليكس في مقعدها، ترتجف من البرد على الرغم من أشعة الشمس التي ترسل أشعتها فوق الرؤوس. وكان البحر وشاحاً فضياً، والزبد وراهما مائياً.

سرعان ما دخلا جون الجزيرة، الشبيه ببحيرة، فراح المركب يسرع الى شاطئ واسع مكتظ بالفنادق والمحلات والنوادي الليلية. فتعجبت اليكس لأن رجلاً مثله يقُدس العزلة يختار مكاناً كهذا.

لكن المركب تجاوز طول الشاطئ المكتظ بالمظلات الكبيرة الواقية من أشعة الشمس، وبالاطفال الصاخبين والكلاب النابحة، ولم يخفف من سرعته إلا حينما وصلا الى شاطئ هادئ ممتد مسيح بالشجيرات الشائكة والنباتات المتسلقة، المدعومة بجذوع الشجر. . . هنا، كانت دلائل السكن قليلة، لذلك لم تدهش اليكس حين وجه المركب الى ممر ضيق متعرج، يحيط به العشب النامي، وكأنهما مستكشفان يفتحان طريقاً لهما عبر نهر غير معروف في قارة مظلمة مجهولة.

حين صفق الباب وراه، بدأت ألياً تفك أزرار فستانها. لقد بدا متزعجاً خائب الأمل لأنها لم تفه بكلمة تقدير أو اعجاب بالقبلا السابحة تحت أشعة الشمس والمتوقع أن تبدي اعجابها بها... لكنها متعبة أكثر من أن تستطيع الاعجاب بأي شيء، ولقد قاومت إظهار اعجابها لئلا يعتبر زوجها كلامها دليلاً على الليونة أو التشجيع.

جرت خطواتها المتثاقلة في الغرفة، وغرقت فوق السرير. يجب أن تنام إذا كانت تريد تحضير روحها المتعبة وجسدها المتوتر وذعتها المتلبد للأيام المفزعة القادمة وللليالي التي تلوح لها قاتمة.



المجال للمزيد من البرودة. أما الدفء فغير مطلوب هنا، لأن أساساً منزل صيفي. تعالي سأريك غرفة نومك. وأقترح عليك الراحة ساعة أو ساعتين. تبدين متعبة عزيزتي... ويسعدني أن تستريح حتى تتمعي بالعيشاء، لقد خططت لعشاء مميز احتفالاً ببلنتنا الأولى.

كانت الغرفة التي أدخلها إليها مثلاً للبساطة اليونانية الشهيرة، فيها أريكة عصرية تشبه «الديوان»، وكرسيان. وفي وسط الغرفة نتوء صممت على أن تكون طاولة زينة يتوسط هذه الطاولة مرآة، ورفاً زجاجي لوضع أدوات الزينة عليه.

- حسناً. ما رأيك؟

كان ردها نفساً عميقاً. فللقبلا المعزولة مناظر ساحرة إذ تحيط بها زرقة البحر، والسماة الخالية من الغيوم. وتمتد تحتها سفوح خضراء تتراعى الى شاطئ معزول تنتشر فوقه الأصداف وتقبل أقدامه الأمواج، بانتظارهما وحدهما. إنه عش حب مثالي، وكر نسر لا يقهر، جنة للعشاق، خاصة لمن هم في شهر غسل يحتاجون الى الموقع الجميل، والحرية من الإزعاج الانساني، والوقت الكافي لاستكشاف ما في أفكار الشريك، الامر الذي، قد يؤدي الى اكتشاف ما في الشريك الآخر من تعقيدات طبيعية ربما لم يشاهدها فيه من قبل.

ارتجفت من أفكارها، فقطب تغير جبينه لهذا وكان صوته الحاد القاطع دليلاً على أن لصبره حدوداً.

- سأتركك حتى تستريح. ربما فيما بعد، حين تستريحين تشعرين بميل الى إبداء إعجابك... أو عدمه!



مد يده مبتسماً الى مبذل مشمسي اللون كان على أسفل  
الفراش. ثم قال وهو يرفع حاجبيه:  
- أهذا ما تفتشين عنه؟ لا أرى ضرورة له.. فالطقس ما يزال  
دافئاً.

كانت حرارة الغرفة لا تطاق ورغم ذلك انتزعت الروب من  
يده وكأنها ترتجف من برد الشتاء، فلفته حولها، ثم سألت:  
- كيف دخلت الى هنا؟ وماذا تفعل في غرفتي؟ كان عليك  
من قبيل اللياقة والأدب أن تدق الباب.  
جلس على طرف سريرها، ينظر ببرود الى محاولاتها  
المتعثرة لاقفال أزرار ياقة المبدل.  
- دعيني أساعدك.

أجفلتها حركته السريعة، فقد تخلى عن استلقائه على مرفقه  
وقفز برشاقة حتى أصبح الى جانبها دون جهد.. فارتدت مرتبكة  
لكنها وجدت صعوبة في أن تقول له، بشيء من السلطة، أي  
شيء خاصة بعد أن راحت أصابعه تعبت بالازرار... لكنها  
تمكنت من القول بعد أن انتهى:

- أتسمح بالذهاب الآن.. إياك أن تدخل غرفتي مرة  
أخرى، دون إذن مني!  
لكنه رد عليها بسخرية أغضبها:

- إذا منعني من الوصول الى غرفتك، فكيف سأقوم  
بواجباتي؟.. إذا كنت ترغيبين في خدمات «الصاحب» فعليك أن  
تتحملي وجودي. إنني الآن أحضر لك الحمام، وسأساعدك  
على تسريح شعرك.. انظري بنفسك..

## ٨ - تنفيذ الوعد

- هل استيقظت عزيزتي؟

قاومت اليكس نعاسها ثم هبت من نوم كانت تحلم فيه بأن  
طائراً مفترساً كبيراً يحوم فوق سريرها. فحدقت دون وعي في  
الشكل الضبابي أمامها، تدفع عن نفسها الدعر المتصاعد، لكن  
خوفها لم يخف حين برز أمامها وجه تيفر بوضوح، رأسه  
الأسود تحيط به حالة حادة من كرة الشمس الضخمة التي تنزلق  
بطء وراء النافذة.

- تنامين كالطفلة!

في صوته تسامح وتدليل، وكأنه صادر عن أب.. لكن  
نظرته على بشرة كتفها العاجية لم تكن هكذا. مما جعلها تدرك  
فجأة أنها لا ترتدي سوى الثياب الداخلية.. فاحمر وجهها.

- وتحمرين خجلاً كطفلة كذلك.. طفلة متقلبة، متحررة  
ومتزمتة في آن.

- لست متزمتة!

وجلست بحدة لتبرهن كلامها.. أنزلت ساقها النحيلتين  
عن السرير، ثم وقفت تبحث عما يحميها من نظراته ولو كان  
رفيقاً.

لكنها غضبت من نفسها لأنها أظهرت هذا التوتر... وقال لها:

- سأخرج لك الثوب الأسود.. ارتديه أرجوك.. فهو رائع عليك.

صرت على أسنانها، إذ كانت قد وضعت الثوب في مكان قصي في الخزانة. وطلبت من الخادمة ألا تخرجه من مكانه. لكن شخصاً قد خالف أمرها هذا.. وليس ذلك الشخص إلا هذا الذي تنظر الى عينيه الذهبتين الشبهتين بعيني شيطان.

- سأفعل.. لكنني لا أجد أهمية لما ارتديه مادام لن يكون هناك سوانا على العشاء.

بدأت تفهم الآن بوضوح كيف سينفذ الأسلوب الذكي يوماً.. الهجوم والدفاع، الحكم البارع، الفن الذي سيحوله الى افراط في التألق.. يجب أن تبقى متيقظة مترقبة كل تحركاته ويجب أن تكون مستعدة لصد كل هجوم يقوم به وذلك بالحركة المعاكسة المناسبة.

نزلت الى الطابق الأرضي هادئة باردة، أعصابها على استعداد للتيقظ عند أول لمحة خطر... التقاها تيفر في الردهة فرافقها الى غرفة الطعام.. رنت أجراس الخطر في ذهنها حين واجهها جو ذكرها بجو «حريم السلطان». اقتادها الى طاولة رائعة المنظر، فوقها أدوات طعام فضية، مدموغة جميعها بشعار عائلة بيرتاكس. كانت نظرة النمر الذهبية اللامعة، تبدو وكأنها تلحق بها أينما ذهبت.. وكانت الموسيقى الخفيفة، المغربية، الرومانسية تنهادى في الجو حتى لا تكاد تلتقطها الأذان. أما

وفتح باب الخزانة وراءه، فبان صف من الفساتين المرتبة ترتيباً دقيقاً.. وتابع:

-.. لقد أخرجت لك الثياب من الحقائق! والآن سأحضر لك الحمام. وفي الوقت الذي ستقضيته في الحمام، أكون قد وضعت اللمسات الأخيرة على العشاء الذي حضرته أثناء نومك. تعالي الآن يا صغيرتي.

أمسكت أصابعه السمراء بوجهها:

- يجب أن تعترفي بأنني أفي بالالتزامات التي تخصني من الاتفاق.. وحرمانني من دخول غرفتك سيدل على أنك مترددة في الايفاء بوعدك، وقد يشجعني ترددك هذا على الاعتقاد بأن دور الزوج المتوحش يروقك أكثر!

وجدت أنه يتمتع بالمزاح على حسابها.. ما من كلمة قالها إلا وفيها رنة السخرية. إنه يستجيب لخدعتها، يتحداها أن تختار ما بين شرين متوازيين.. إما أن تختار أن يكون ظله في أعقابها دائماً.. أو توافق على قبوله زوجاً بكل ما للكلمة من معنى حميم.. لكنها لم ترد بسرعة، بل نظرت إليه بازدراء، ثم قالت:

- حسن جداً.. قم بواجباتك. أريد أن يكون الحمام جاهزاً بعد خمس دقائق!

- فلنكن إرادتك يا كونتيسي الجميلة!

ورفع قبضة يدها المشدودة الى شفتيه وقبلها، فانتزعها منه:

- توقف عن هذا!

- من يعلم بالضبط أين تسكن الملائكة؟

وسرعان ما شعرت بأعصابها تضطرب، فمدت يدها وتناولت شرابها ثانية، لكن يدها أخطأت الهدف، فقلبت الكأس التي انساب ما فيها على الطاولة ومنها الى حوض ثيغر. فقفز ليتجنب البلل وأسرعت اليكس تمسك الفوطة وتتمتم معتذرة ثم راحت تحفف العصير عن سترته.

- يا لي من خرقاء...! أنا أسفة جداً. هذا طيش لا يغتفر...

أطبقت يدها على كتفها لتوقفها فإذا بعينيها المضطربتين تحمقان في وجهه الذي ما عاد ساحراً، وفي عينيه اللتين اشتعلتا بنار ذهبية وفي فمه المتجهم المتشدد.

- اليكس! اليكس... أجبك!

وجذبها إليه حتى استند رأسها الى قلبه... وقبل أن تتمكن من التراجع كانت ذراعاها تشتدان حولها تشعرانها بلهيب اجتاح ظهرها المكشوف. أحنى رأسه إليها ببطء فاستجابت هي له بقوة، تلمي نداءه وتتفاعل وتذوب في عناقه. إنها ليست من البشر إن لم تتأثر بسحر الشموع، وبرائحة الورود الشديدة وبالموسيقى الرومانسية التي أشعلت في نفسها أحاسيس جديدة عليها، تركتها مكشوفة أمام أنواع الخطر، خاصة أمام تقدمات زوجها الوحشي الجاذبية.

رفعت من جديد جسدها إليه، حاملة ضائعة. لتعقد ذراعيها حول عنقه، مستجيبة الى نيران الرغبة الملحة في نفسها، فكان أن زادت هذه الحركة من اشتعال جوعه...

وجه رفيقها الحذر فيبدو متناقضاً مع سترته البيضاء... كؤن كل هذا مجتمعاً، نوعاً من الهجوم على أعصابها، وأنتج عنه تحذيراً مذعوراً ترجمه دماغها بكلمة واحدة: احذري!

صب لها كأس عصير بارد، ونظر الى وجهها وهي تتقبله... فارتشفت القليل منه ثم قالت لتحطم الجو الحميم الذي أحرق بها:

- أليس المكان مظلماً هنا؟ أريد رؤية ما أتناول من طعام. ألا تضيء الأنوار، أرجوك؟

ضائق عيناه وهو يزن طلبها... أهو نابع من التوتر أم من الضرورة. واغتبطت سراً حين أذعن على مضض فقد أضاء مصباحاً صغيراً قابلاً فوق طاولة صغيرة في زاوية الغرفة.

تركها بسلام تتناول طعامها بهدوء وتتمتع بالعصير. وحين رفع الابريق ليصب لها ثانية قالت معتذرة:

- شكراً لك، لا أريد المزيد.

- ألم يعجبك العصير؟

- بلى... لكنني شبعت. شكراً لك.

- هراء... فالطعام اللذيذ يحبه من في الجنة أو في النار على السواء.

رفعت رأسها لتكشف عن عنق رائع:

- وفي أي جهة تراني أنا؟

راحت عيناه تمعنان النظر في استدارة كتفها، ثم انتقلتا للاستكشاف كما حدث حين رآها للمرة الأولى ترتدي الفستان الأسود. تتمم، وعيناه مستقرتان على صدرها:

- أرجو منك أن تذكر مستقبلاً.. أنني أنا من يحمل الأوراق الراححة كلها. لقد دفع لك بابا المال لتتزوجني.. ولن أسمح لك بأن تنسى هذا.

تقدم نحوها بوجه متجهم صارم.. فارتدت الى الوراء، حتى وصلت الى الزاوية وأحست بالجدارين ورائها وهو أمامها. حين مد يده ليلمسها، دفعت يده عنها، مع ذلك تمكن من الإمساك بكتفيها بركة:

- لا تقولي شيئاً الآن اليكسندرا.. ليس وأنت غاضبة. أستطيع فهم شعورك، أنت مصدومة، حائرة، خجلى قليلاً، لكن لا سبب لكل هذا يا طفلي.. فمئذ لحظات أظهرت قدرة هائلة على الحب والعطاء.. هذا إذا سمحت لنفسك. إن كل ما تحتاجين إليه هو الوقت، وما عليّ أنا إلا أن أظهر المزيد من الصبر.. نامي الآن اليكس.. وفكري في ما قلته لك.

أحست بأنها توشك أن تبكي. كانت الدموع تقفز الى عينيها فتؤلمها ثم جاء الغضب لتجدتها:

- حقاً سيدي.. أنت تتكلم وكأنك تُحدّث طفلة! أنا لست غريبة على العواطف، لذا لا أصدم بسرعة. أنت قديم الطراز تثير الشفقة. النساء في هذه الأيام ما عدن جاهلات العواطف. مرت أصابعه بلطف على كتفيها، وفاجأها بالسؤال:

- لماذا ترتجفين..؟ أتخسرين بالبرد؟

- لا

- إذن.. أنت خائفة مني؟

- بالطبع لا

لم تحتج حين حملها ليرتقي بها الدرج وصولاً الى غرفتها.. ثم لَمَّا وصل وضعها فوق السرير بلطف ووقار متمماً بكلمات تحببية حارة وهو يفك لها سحاب الفستان.

كانت الدقة التي أتم بها خلع فستانها، لها ردة فعل باردة على أعصابها. فبدأت المقاومة:

- لا!

وارتدت الى جنبها في محاولة للتحرر من ذراعيه.. عندها أحست بانطباع لهيب شفتيه على كتفها حيث الشامة السوداء الشيطانية.. وتمتم:

- كم نقت الى تقييلها حبيتي! كيف تشعرين ووسم الشيطان على كتفك؟

- أشعر بالخزي التام!

وتمكنت تحت عامل الذهول من التحرر من قبضته. أعطته ظهرها ثم أسرعت تمد يدها الى رويها وهي ترميه بالانتهامات غاضبة، ثم أردفت قائلة:

- يقع بعض اللوم عليّ.. لست أفهم كيف سمحت لهذا أن يحدث.. إنك دون شك تعتقدي بسيطة، ساذجة، حمقاء، رأسها يدور لأتفه غزل، على يد من ينوي الاغواء!.. أنت تتلاعب بيديك جيداً يا سيد.. وقد استخدمت براعتك كلها حتى اكتشفت أين يمكن ضعفي، لكنني لحسن الحظ استعدت عقلي في الوقت المناسب لأفسد ألعبيك!

استدارت لتبحث عنه في الغرفة المظلمة فوجدته يقف أمام النافذة بصمت وتوتر وهدوء، ناثراً، فعصفت بكلامها الغاضب:

٩ - يأكل من يديها

مرّ على وجودهما في الفيلا ثلاثة أيام، لم يحدث فيها أن ذكر تغير ما يشير إلى الليلة الأولى وكان قد عاد يعاملها معاملة الأب المتسامح. احترم رغبتها في أن تكون وحدها وما اعترض البتة حين كانت تختفي بسرعة بعد الفطور مباشرة قاصدة الممر الموصل إلى الشاطيء، حيث كانت فيه تستكشف المغاور الصغيرة، وتفتش عن الأصداف النادرة أو تجلس ساعات، ترمس قدميها في مياه البحر الدافئة.

لكنها أحست أخيراً بالإرهاق، وبدأت العزلة تؤثر فيها. لذلك فاجأته اليوم ببقائها مدة أطول على مائدة الفطور حتى سألتها باستغراب:

- وكأنك حائرة.. ألم تخططي لشيء اليوم؟

- ليس في الواقع.. سأنزل إلى الشاطيء فيما بعد.

- لماذا لا تنضمين إلي للسباحة في البركة.. وبعد الغداء

قد نخرج إلى نزهة؟

ارتجفت اضطراباً، الدعوة العفوية التي أطلقها لم تكن تحمل إلحاحاً وكأنه لن يكثرث إن قبلت أم رفضت. لذلك كان قبولها الدعوة عفوية:

- لماذا ترتجفين إذن؟

انتزعت نفسها من قبضته.

- إذا كنت ارتجفت يا سيد، فليس من الخوف.. مارأيك

لو قلت لك إنك إن نجحت في اغوائي، فلن تكون أول رجل؟

ارتدّ خطوة إلى الوراء لينظر إليها بهدوء:

- إذا كان هذا سؤالاً افتراضياً، فالرد عليه سيكون غير

ضروري.. لكن إذا كان مبنياً على واقع..

- أجل.. إنه مبني على واقع.. فماذا بعد؟

مد يده ليمسك بخناقها بأصابع رقيقة قبل أن يقول بطريقة

مرحة:

- من الجائز أن أخنقك!



بعد وصولهما الى الفيلا بيوم، جاءت خادمة من القرية المجاورة لتقوم على خدمتهما يومياً، دون أن تبقى ليلاً، ظهرت في تلك اللحظة تحمل صينية عليها إبريق كبير من عصير البرتقال البارد، وطبق من البسكويت باللوز. فابتسمت اليكس بسعادة:

- شكراً لك ماريكا، اتركي الصينية على الطاولة، سأصعب الشراب عندما يكون السيد جاهزاً.

ردت ماريكا الابتسامة، وانحنت تادباً.. لكن أسأريها، بعد أن ابتعدت، اكتست التعجب.. فزوجة السيد شابة جميلة، وهي منذ ثلاثة أيام تنام وحدها في غرفة منفصلة وهي الى ذلك منذ ثلاثة أيام أيضاً تتجول وحدها تاركة زوجها في الفيلا.. فكيف يعثر الأميركيون بلادهم بالأولاد إذن؟ لم يصدقها زوجها حين أخبرته وقد قال لها دهشاً: لا.. لا.. الكونت رجل نشيط، لن يقبل بحياة العزوبة خاصة في شهر عسله..!

تهللت أسأري ماريكا.. إنها اليوم مازالا معاً، ولما يفترقا.. لربما الليلة إذن..!

تمددت اليكس على مقعد النوم الطويل عند حافة بركة السباحة تراقب تيغر يشق طريقه عبر المياه الزيرجدية اللون، اجتاز البركة حتى الآن بضربات ما يزيد عن عشر ميرات، وماتزال حركاته قوية وكأنه قادر على الاستمرار هكذا أجيالاً.

خرج تيغر من الماء ووقف متمائلاً على حافة البركة، يحرك عضلاته، بينما الشمس تجفف الماء عن بشرته البنية التي جعلتها

أشعة الشمس بلون الجوز، فأشاحت بوجهها عن جسده المفتول، تساءل كيف أساءت الحكم عليه يوماً فحسته قطعاً لا أنياب له. فلهذا النمر الذي لا زئير له، أنياب.. أنياب عضت بكل لطف لحمها وبعثت فيها نشوة الألم. جرى الدم حاراً في وجعيتها وهي تتذكر ما حدث، فمدت يدها الى إبريق عصير البرتقال على أمل أن يمرّ احمرار بشرتها دون ملاحظة.. لكن لا شيء مما تفعله قد يغيب عن عينيه الثاقبتين.

رمى بنفسه فوق الكرسي الطويل المجاور لها:

- يبدو وكأنك تشعرين بالحر. ربما عليك السمي الى الظل. فبشرتك البيضاء لَمَّا تمتد على حرارة شمسنا.

أحست ورغم مضي ثلاثة أيام على ما حدث، بكلماته تؤثر أعصابها.. لكنها أحست أكثر بكراهية لضعفها.. وبدا التوتّر واضحاً في صوتها وهي تسأل:

- حتام يجب أن نبقى هنا؟

- وهل مللت الفيلا؟ ربما هي غلظتني لأنني أهملت تسليتك. فأنا من أنصار الوحدة، لكن يجب ألا أنسى أن الآخرين قد لا يشاركونني رأيي. وبما أننا سنبقى هنا أسبوعين آخرين فيجب أن أصحح خطئي.

شهقت اليكس واتسعت عيناها برعب:

- أسبوعين! لماذا لا نعود قبل هذا الوقت؟

- لأن الاعمال الآن تجري لتدعيم أساس القصر، وهذا عمل يشمل بعض التفضيرات كي يتمكن العاملون من دفع الاسمنت الى الأساس القديم.

ردت بلؤم:

- لم تهدر وقتك فقد استفدت من «دوطني»! أخفت أن يغير  
بابا رأيه؟

رد عليها بلطف:

- أبدأ.. بكل بساطة هذا النوع من الاعمال لا يتم إلا في  
أوقات محددة من السنة وقد صودف أن هذا الوقت هو  
الأنسب.

اندفعت لسبب مجهول الى تكديره وتغيير تعبيرات وجهه  
الهائلة المستحقة لعنة:

- إن المسألة لا تتعدى الاسراف في انفاق المال. فتقارير  
الخبراء، تفيد أن أساس القصور القديمة لا ينع معها الترميم.

هز رأسه بحزن:

- أجل.. هناك أماكن كثيرة في المدينة القديمة، كانت يوماً  
فوق مستوى الأرض ثم أصبحت تحتها.. هناك في أنحاء  
المدينة كلها دلائل تشير الى تداعي كل ما هو قديم. فثمة  
شرفات ونوافذ وجدران تحتاج الى تدعيم، وتصليحها يقتضي  
تكاليف باهظة. لكن هناك من يعمل في الوقت الحاضر على  
اصلاح ما يستطيع ضمن أملاكه وأملاك غيره.

قفزت واففة، فبان جسدها فتاناً في المايوه الذي التصق  
بجسدها. قالت له فجأة:

- لقد اكتفيت من الشمس. سأدخل.

فهز لها رأسه موافقاً، وراقبها عابساً، وهي تختفي عن  
ناظره.

راحت في غرفتها تدور وتدور متسائلة عن هذا القلق الذي  
يسيطر عليها.. أخيراً جلست تنتظر، بصمت متمنية مجيء  
تيغره، وحين قُرع الباب قفزت لتفتحه، ثم انتظرت بصبر فارغ  
ليتكلم.. فتردد قليلاً وهو يراها أمامه، وابتم:

- فتاة طيبة! إذا كنت جاهزة، نستطيع الانطلاق.

خطت الى الامام متشوقة:

- الى أين؟ وكيف سنصل الى هناك؟

- بالسيارة طبعاً.. ألم أقل لك قبلاً إن القبلا ليست يبعيدة  
عن الطريق العام، واننا نحفظ هناك بكراج نضع فيه سيارة  
بشكل دائم؟

- سيارة؟ في هذه الحالة نستطيع الذهاب الى ابعد..

- الى الكازينو؟..

- كيف عرفت أنني أرغب في الذهاب الى هناك؟

- عزيزتي اليكس.. إنك كالطفل الذي يترقب بشوق قضاء  
يوم على شاطئ البحر. ولولا ارتداؤك أبهى حلة لزودتك بدلو  
ومجرقة للرمل!

كان الطريق الى المنتجع البحري مثيراً ومنشطاً. وكانت  
سيارته القوية الرياضية، تهدر طوال الطريق، تأكل المسافة  
أكلاً.. راحت اليكس، التي بدأت مؤخراً في التفكير بما يملكه  
الكونت من قبلا فخمة وسيارة باهظة الثمن كهذه تتساءل من أين  
له هذا؟

- تيغره.. لماذا لا تتخذ لك وظيفة؟

وكاد يخرج بالسيارة عن الطريق، لكنه أجابها بنعومة:

- كنت أعتقد أن لدي وظيفة!

- أنت تسيء فهمي معمداً أعرف أنك تعتبر نفسك مشغولاً بمصالح العائلة.. لكنني أتحدث عن وظيفة أعني وظيفة لها راتباً

- أليس لكل وظيفة راتب بطريقة أو أخرى؟

ران عليها صمت الحيرة.. فمع أنه فقير إلا أنه يحافظ على مستوى رفيع.. فيلا وسيارات في القصر، وسيارة هنا، وأثريات لا تثنى داخل القصر، وخدم. إن هذا كله يدل على أنه ليس معمداً. ربما هو الآن يستفيد في ترميم القصر من دوطنتها لكن كيف يؤمن المال لدفع ما تبقى من مصاريف؟ أوقف السيارة في مواجهة البحر وقال لها بلهجة متسامحة، وكأنه أب يتحضر لمكافأة طلقته:

- اليوم كله لك.. افعلني ما شئت.

فقال له متوسلة:

- فلتتمش.

أسر ناظرها منظر شوارع مزدانة بالزهور وبالنباتات، فتمنت لو يأتيان الى هنا ليلاً لترى تأثير المصاييح المعلقة في حلقات وسلاسل عليها، تنشقت الهواء العليل بعمق وقدمها تنتقلان بسرعة حتى تتبع خطوات تبخر السرعة فقد كان يسير ورأسه محني الى الأمام، ويداه في جيبيه دون أن يتأمل جمال ما يحيط بهما. وشهقت قائلة:

- هل تخفف سرعتك بعض الشيء؟

توقف فجأة فاصطدمت به، وكادت تقع لولا سرعته في

الامساك بذراعها. وقال لها مقطباً:

- يا لقللة تفكيرتي.. لم أكن أدرك..

ولمع طاولة فارغة في مقهى رصيف مجاور:

- اجلسي هنا بينما أطلب بعض المرطبات.. فالطقس

حار.. وقد كنت غيباً لأنني عجلت في المسير في هذه

الحرارة! لماذا لا تضعين قبة على رأسك؟

- ما اعتقدتها ضرورية. إذ كان الطقس بارداً في الفيلا.

- دعيني أضع الكرسي تحت ظل المظلة.. والآن اجلسي

هنا ولا تتحركي حتى أعود.

قبل أن يعود قدّم الساقى لها الليموناضة التي راحت

ترتشفها. وعندما وقع ظله على الطاولة رفعت رأسها فرأته

ضاحكاً.. قالت تعتذر بخجل:

- كان يجب أن أنتظر وصولك. لكنني كنت عطشى.

ارتدت في مقعدها كطفلة صغيرة، فلعلقت شفيتها بلسانها

الاحمر الصغير ثم قالت تشير الى كوب آخر:

- طليت من الساقى أن يحضر لك كوباً.. ستمتع به!

- لا.. شكراً.. خذي هذه، فهي أفضل ما وجدت.

ورمى الى حجرها كومة قش، وما هي إلا قبة تقي المرء

من حرارة الشمس. حين وضعتها على رأسها تدلى القش فوق

وجهها.. فضحكت وسألت:

- كيف أبدو؟

رفع عينيه بقنوط ليجيلهما بكل ما حوله:

- منسجمة كل الانسجام مع ما يحيط بك.



مالت إليه بطريقتها الطائشة وقالت .

- أراك تحاول تعويد نفسك على الظهور علناً . لكنك تتصرف وكأنك تمثل مسرحية متصنعة .

- متصنعة؟

- أو فلاًقل تتصرف بوقار . . . فالتصنع والوقار وجه لعملة واحدة . . أنت لا تحب هذا المكان . . صحيح؟

- أنا لم أدع قط الانجذاب الى الكعك، أو المحلات المبهرجة الخالية من الذوق أو الى المشروبات المسممة .

ونظر بقرف الى كوب الليموناضة وأكمل:

- أو الى الاطفال الملوئين حتى الأذنين بالآيس كريم، أو الى أهلهم الصالحين بهم . لكنني على كل الأحوال سأتحمل هذا كله من أجلك هذه المرة .

- ولماذا لا تتمتع هذه المرة فقط؟ لِمَ لا تنسى أنك كونت وتتصرف وكأنك شاب عادي لا يتورع عن طلب المرح . فلندع أننا التقينا لتونا . غريبان رماهما القدر معاً . وأمامهما كل اليوم ليتعرفا الى بعضهما بعضاً . . لكنك ستضطر للتخلي عن صورتك المنشأة وإلا لن ينجح الأمر! والتخلي عن سنرتك، وربطة عنقك لبداية موقفة!

ظلت للحظات أنها ستلقى صفة على وقاحتها . . فقد امتزج الفخر مع الاغواء على أساريه، وهو يتردد . . شيء في تعبير وجهها المغمم بالحيوية ساعده على الوصول الى قرار . . فسحب ربطة عنقه ووضعها في جيب سترته ثم خلعها، ورماعها على كتفه العريضة وسألها:

- أراضية؟

ربت طرف أنفها باصبعها مفكرة، ثم فطبت:

- هناك شيء غلط . . . حاول أن ترفع كميك الى فوق .

- أرفع كمي . . ؟

- ارفعهما!

أزال على مضض الازرار الفضية التي تحمل شعار اللقب، وأخذ يقلب كمي قميصه الحريري الأزرق الباهظ الثمن حتى مرفقه، وحين تجاوز المرفق، مدت يدها بخجل وفتحت الازرار الثلاثة العلوية في قميصه . كان التحول مذهلاً . فقد برز عنقه أسمر قاتماً تحت ياقة مفتوحة على مرجة من الشعر الأسود الممتد على صدره العريض، كما تحركت عضلاته المفتولة تحت الحريري، فشكلت جميعها سحراً خاصاً وجعلت منه أكثر شباباً واسترخاء . . . وحين ضحك اكتمل التحول ذلك أن أسنانه البيضاء تناقضت مع وجهه الأسمر .

- أحس وكأنني جندي جرد من بذلته الرسمية فما عدت واثقاً من نفسي وما عدت قادراً على التصرف . حين أكون مرتدياً بزتي أحس بأنني متمدد . . أما الآن . !

ثم هز كتفيه تاركاً ما تبقى من كلام لمخيلتها .

وابتلعت آخر ما في كوبها من الليموناضة فكادت تختنق . . ماذا فعلت؟ وتمنت بحرارة لو تتعلم التفكير قبل التفوه فهي قد تندبر أمر الكونت الأنيق . . لكنها لا تعرف كيف تتصرف مع هذه الصورة الخليفة التي رسمتها له بناء على تهور أبله .

\* \* \*

كانا يقفان عند جدار منخفض، يستندان مراقبهما فوقه،  
ينظران الى عدد من الأشخاص المنتشرين فوق الرمال... ولم  
يكن على وجهه أثر للقرع المعتاد، وهو يراقب أفراد العائلات  
يتدفقون للحصول على مشراتهم. إنه عالم جديد بالنسبة له،  
وهذا ما أدركته اليكس لكن ذلك الإدراك سبب لها الإشفاق...  
وهو آخر شعور قد تربطه بالكونت المتباهي... وسارعت تشرح  
له:

١٠ - تريده سيدها

- لقد عانت أمني كثيراً حتى جعلتني أتعاطف مع الآخرين  
الأقل حظاً منا. وإذا بدا لك هذا تفاخراً، فأنا لم أقصده... كان  
لوالدتي طبيعة محبة معطاءة، وكانت ستصرف بالطريقة ذاتها  
وإن كنا نعيش في كوخ. فلم يكن للمال والاملاك أهمية عظيمة  
في نفسها. أذكر أنني سألتها مرة، بكل لهفة الأطفال: ماما...  
ماذا سيحدث لو خسر بابا ماله؟ ونزع ردها كل خوف الطفولة  
من ذهني، حين قالت: «الثروة لها أجنحة يا عزيزتي... أحياناً  
تطير لكن الأولاد هم ثروة الرجل، فما دام يحب أولاده لن  
يعرف الفقر أبداً».

شد تيغر على أصابعها:

- كم كان عمرك حين ماتت؟

- اثنتي عشرة سنة. إنه أسوأ عمر... وماذا عنك؟ لم

اسمك تتحدث عن أمك. أتجد هذه الذكرى مؤلمة كذلك؟

أذهلتها هزة كتفيه غير المبالية، وأدهشها رده:

- لا أذكرها أبداً... فقد ماتت حين ولادتي.

- أوه... أنا أسفة!

حين انطلقا في نزهتهما، أمسك تيغر بيدها، ولم تمنع.  
وقد نسيته وهي ترى هذا الجمال المحقق بهما أن الرجل الذي  
تلقت أصابعه حول أصابعها هو الكونت تيغاروس بيرتاكس.  
وبدا أن تيغر قد خلج مع السترة وقاره. فراحت عيناه من  
وراء نظارة ملونة تضحكها لها، لا بتسامح أبوي... إنما  
بإتسامة محددة بطلقها عادة أي رجل منجذب الى فتاة جذابة.  
فارتفعت روحها بخفة كوقع قدميها وهي تسير الى جانبه،  
فأشارت الى طير نورس يطير في سماء زرقاء لا غيمة فيها.  
وتوقفت أمام طفل يبكي لابتعاده عن أبويه... ثم تمتعت براحة  
حين هرع أب متلهف ليحتضن الطفل الباكي بين ذراعيه.

- لك قلب حساس يا اليكس... مصلحة الآخرين، من لا  
تعرفينهم حتى، تعني لك الكثير... وهذه أخلاق نادرة الوجود  
في فتاة مثلك تربت فيما يعتبره الناس حضن القمامة والثراء...  
من غرس فيك مثل هذه الفضائل؟ ليس أبوك... فهو كساتر  
الرجال من طبقته، يبدو غارقاً في العمل وفي شؤونه بحيث لا  
يجد وقتاً لشيء آخر... وسأشأ تبدو دائماً مهتمة بمصلحتها  
فقط.

مليء بالذكريات التعيسة! لماذا لا تفتله، وتسى وجوده..  
أو.. إذا كان هذا مستحيلاً.. عوض عن طفولتك الوحيدة بملاء  
القصر بالأولاد حتى تطرد ضحكاتهم، ووقع أقدامهم الصغيرة،  
كل أشباح طفولتك!

رمى رأسه الى الوراء وضحك. حتى أن جميع من سمعه  
ابتسم والتفت إليهما. فرفعت نظرها إليه مذعورة، ثم حسبت  
أنفاسها... فقد كان لمنظر وجهه تجاه السماء الزرقاء سحراً  
غريباً جذاباً...

أحنى رأسه لينظر الى وجهها الساخط:

- آه يا حبيبتى! سأحب هذا كثيراً! في الواقع أنا...

فجأة وهما ينظران الى عيني بعضهما بعضاً، بدا أن كل  
شيء صامت حولهما.. الامواج ارتطمت بالرمال بصمت..  
صراخ الأولاد تلاشى حتى أصبح همساً وصراخ آبائهم أصبح  
صدى، وصرخات الطيور اختفت.. حين انتزع نظارته، وجدت  
نفسها تحديق في عيني ما عادت تبرقان من الضحك.. بل في  
عيني مظلمتين، تعكسان مشاعر لا قرار لها. وأخذ يردد ببطء:

- بيت يعج بالأولاد.. ليت هذا ممكن يا اليكس!.. إنه  
ممكن، لو أجبرت نفسك على قبولي زوجاً لك.

في تلك اللحظة أدركت أن الطنين في أذنيها كان صوت  
خفقات قلبها. فعضت شفتيها، تتأرجح بين الريبة والتصديق..  
لكنها سرعان ما نفضت سحره عنها.. فما يحس به ما هو إلا  
نزوة ملؤها شوق مؤقت سيمر تاركاً في إثره الاحراج. لو كانت  
حمقاء لأخذت قوله على محمل الجد.. فالصدق غريب عنه

فابتسم وقال مازحاً:

- قلبك رقيق.. لماذا الأسف؟ ما هو القول المأثور: «ما  
لم يكن لك لا يمكنك أن تفتده»؟

- لكن هذا ليس صحيحاً! فلربما حاول والدك، بجهد  
مضاعف كما فعل والدي، التعويض عليك!

هز رأسه، وترك وحدة نفسه تبرز من خلال شرحه:

- ما كنت أشاهد أبي كثيراً، كان يمضي معظم وقته خارج  
البلاد. ويتركني في عهدة المربييات والمعلمات، وعمتي  
بالطبع... وحسب قولها.. كان أبي يكرهني، لم يستطع أن  
يسامحني لأنني سلبت حياة أمي حين ولدت... لكن أعتقد أننا  
لو أعطينا الفرصة ليتعرف أحدهنا على الآخر لاستطعت أن  
أعوضه عنها ولو بطريقة صغيرة جداً.. لكن هذا ما لم يحدث  
قط.

أحست بالأسى من هذه المعاملة التي عومل بها طفل فقد  
أمه.

- وهل قالت لك عمتك هذا؟

لا عجب إذن أن الطفل ترعرع وحيداً مستوحشاً حتى أصبح  
أكثر عزلة. فالإحساس بالذنب كان يتراكم فوق كتفيه. أعطاه  
الزمن والتقاليد مئة الثقة بالنفس، لكنها تعتقد أنه ما يزال يحمل  
في داخله ذلك الاحساس بالذنب. وذلك الشعور بأن لا حق له  
بالسعادة.. وتعاطف عطفها عليه، متهوراً كالعادة.. فقالت له  
بشراسة:

- لست أدري كيف تطيق الاستمرار في العيش في منزل

كان الخليج الصغير لا يبعد أكثر من عشر دقائق... لكن، خيل إليها أنها خطت الى عالم مختلف تماماً حين مشت في الممر المنحدر الذي يفضي الى فسحة رمال لا تحمل أثراً للبشر.. وضعا سلة الطعام تحت شجرة باردة الظلال، ثم ذهب خلف الصخور فغيرا الثياب التي بدأت تزعجهما في هذا الحر.

أحست اليكس بخطواتها متقايلة تخشى مما ستيديه نظرة تيغر إليها.. لكن حين برز من وراء الصخور كانت هي من ضحكت على منظره.. فقد كان يحرق بقرف الى الشورت الفاقع الألوان، المؤذي للنظر.. كتمت ضحكة، لم يظهر من أثرها إلا اهتزاز كتفيها لكن لم تلبث أن تسللت من بين شفتين مضغوطتين لتدوي قهقهة مرتفعة، وصل صداها الى شواطئ الكازينو.. وتقدم منها متهماً:

- كان عليّ ألا أسمح لك بشراء شيء لي! لقد اخترت هذا الثوب المقرف متعمدة..

أمسكت بجنيها لتتمالك موجة يائسة من الضحك. وقالت:  
- أخشى أن تكون علي حق... فتوبي كان أفضل الأسوأ.  
لذلك فتشت لك عن شيء شبيه لثلاث ضحك علي!

دفعتها غريزتها الى الهرب حتى قبل أن يخطو نحوها... فركضت مسافة نحو الماء أبقتهما بعيدة قليلاً عن يديه الممدودتين.. وقفزت الى الماء وكأنها تحاول الهرب من سمكة قرش. لكن ما هي إلا ثوان حتى تغلب عليها، فأمسك بها من خصرها، ثم شدها من غير رحمة الى الماء، قاطعاً عنها بذلك أنفاسها. تمسكت يائسة بكففيه وكأنهما صخرة الخلاص،

غرابة الضحك في قصر عائلة بيرتاكس... لذلك فقد بددت سحر تلك اللحظة بإعلان مبتهج:

- أنا جائعة.. وأنت؟ فلنجد شيئاً نأكله.

لم تكن ردة فعله الفورية إلا اشتداد قبضته على ذراعها، لكنه سرعان ما وافق على اقتراحها:

- لكن.. ألا يمكن أن نأخذ الطعام لنأكله على الشاطئ..

نظرة الارتباك التي ارتسمت على وجهه أكدت لها صدق احساساتها فهو لم يختبر مثل هذه السعادة في طفولته، إذ لم يحدث على ما يبدو أن تناول طعامه على شاطئ.. لكنه وافق على مضمض:

- إذا كان هذا حقاً ما ترغيبين فيه.

- أوه.. أجل.. أجل.. ثمة محلات على جانبي الطريق نستطيع منها شراء الخبز وبعض الجبن.. والكبيس.. إذا كنت تحب الكبيس؟

- أحيه..

وبدا مستغرباً اعترافه، فتابعت باثارة ولهفة:

- وسيصبح مع قليل من القريدس المطهور رائعاً.

لم يجدا فقط كل ما طلبته، بل اشتريا إضافة الى ما أرادا ثوبي سباحة ومنشفتين كيبرتين وذلك قبل أن ينزلا الى الشاطئ.. لكن بعد عشر دقائق من تخطي الأجساد البرونزية نمرد تيغر إذ لم يجدا فسحة يجلسان عليها.

- فلنعد الى السيارة.. أعرف شاطئاً قريباً نستطيع فيه الاسترخاء دون أن يطردونا منه وذلك لأن مالكة صديقي.

وأمسك بمعصمها. فنظرت إليه، تتساءل عما إذا كان يتظاهر بالنوم. لكنها أحست بأن كل أسلحتها جردت وهي ترى طيف ابتسامة على فمه. بدا لها في نومه بلا حول أو قوة، فرأت في مظهره هذا آثار الطفل الذي كان ينام يوماً والدموع على خديه، كم من مرة انخفضت هذه الأهداب لتخفي الدموع عن عيني كونت المستقبل.. وكم من مرة ارتجف قلبه ألماً مما كانت توقعه به عمته الفاقدة الرحمة.. وكم من مرة تؤثر جسده التحيل ليكبث اندفاعاً يحثه على الهرب إلى الوالد الذي كان يرفضه، إلى الوالد الذي كان ينشد عنده الراحة وبعض الحب الذي حرم منهما.

وقفز قلبها ألماً.. يبدو أن قدره ألا يتمتع بعلاقة حب حتى من زوجته.. فقد اختارها لأسباب مالية لا عاطفية.

ردتها إلى الواقع نظرة استقرت عليها فتدفق احمرار الاحراج إلى وجهها. كم مضى عليه من وقت وهو مستيقظ.. فهو دون شك قادر على أن يقرأ أفكارها!

وزادت كلماته من قناعتها بنظريتها، إذ قال:

- اليوم وبطريقة غريبة تبدين مختلفة. تصرفاتك أكثر لطفاً وأقل تحفظاً وكلماتك تعبر عن السعادة بدلاً من الحمم التي كنت توجهينها إلي من خلال تفكير كثير الشك. أنت جميلة دائماً يا اليكس.. لكن في وجهك اليوم اشراقه خاصة.. اليوم يوم رائع.. أليس كذلك يا حبيبتى!

أحست أنها دون أعصاب، هشة كطفل يعتمد كل الاعتماد على ما يريد مربيته. وجدت أن الكلام مستحيل، فتوسلت إليه

وتوسلت إليه شاهقة بأنفاس قصيرة:

- أرجوك تيغر.. لا تفعل هذا! أنا آسفة.. حقاً آسفة!

وضحكت ثم أردفت:

- أرجوك لا تغرقني بعد.. أرجوك!

- أنت فاسدة.

لم تسمع مثل هذه الكلمة نخرج من فم أي إنسان بهذا الحنان.. فجمدت ضمن دائرة ذراعيه.. اللتين اشتدتا عليها بعناق عاصف حميم. بعد دقائق كان كل ما تراه منه رأسه الأسود يلوح فوق الامواج وهو يوجه قوته كلها ويرفع نفسه من تحت الماء.

كانت تتمدد على مشفتها حين خرج من الماء. رمى بنفسه فوق منشفته التي فرشتها له فوق الرمال على بعد حذر منها. ثم سأله بأدب:

- أنا جائعة.. أسمح بأن نأكل؟

أحضرت السلة من تحت الشجرة، ثم راحت تتجنب نظراته أثناء تناولهما الخبز والجبن، والقريدس والفاكهة.. أما هو ففتح زجاجتين من المرطبات، صبهما في أكواب بلاستيكية وحين اكتفيا، انقلبا معاً على ظهريهما بكسل، يحيط بهما جو صامت، وإحساس بالصحية.. وناما كطفلين ماديسن أذرعهما، أصابعهما.. تقريباً.. تقفل المسافة القصيرة بين منشفتيهما فوق الرمال.

بعد عشر دقائق من النعمة.. استيقظت اليكس من غفوتها.. وتحركت، لكنها أحست بالارتباك لأن تيغر تحرك

## فراشة الحبة

لكن الحياة دروس كلها، وما جرى الآن لقئها درساً مهماً..  
وهو ألا تعتقد يوماً أنه صادق.

\*\*\*

بعينها.. ترجوه بصمت أن يكون لطيفاً.. في تلك اللحظات  
كانت مستعدة كل الاستعداد للاستسلام إليه.. حتى يحبها..  
ويصبح سيدها..!

وهبط ظله فوقها، فأحست بالسعادة لأن ظله كان عباءة  
تخفي تحتها في لحظات عذاب الانتظار.. كان فمها يرتجف  
تتوقع أن يقبلها.. لكنه أطلق لعنة حادة وحشية وابتعد عنها..  
وعندما زال ظله أبهرتها أشعة الشمس، فانتفضت منها وارتدت  
إلى جنبها. تقاوم اندفاعاً إلى البكاء بعد أن اجتاحتها موجة من  
الذل.

- تعالي.. حان لنا أن نذهب.

كانت لمستة باردة وهو يساعدها على الوقوف. لكنها  
أشاحت بوجهها عنه. لأنها لم تسيطر بعد تماماً على نفسها  
لتخفي عذاب الرفض.

كرهت ثبات صوته حين قال لها:

- فلنعد الآن إلى القبلا. لا أجد سبباً يمنعني من إطالة هذا  
اليوم الرابع.. لكننا سنعود ليلاً لزيارة الكازينو.. أنتحيين هذا؟  
ها قد عاد إلى تسامحه الأبوي.. الذي تكرهه! فأجابت:  
- أهذه معاملة خاصة لطفلة ليس لديها تجربة؟ أم اعتذار عن  
النفاق؟ حسناً دعنا نتمتع بما سيقدمه لنا الكازينو.

لقد اختبر مشاعرهما وعواطفهما، ثم أظهر قلة حماسة بشكل  
مذل، لربما رأى أنها غير قادرة على الوصول إلى مصاف شبخ  
ماضيه جانيت.. كان رفضه لها صعباً، شديداً على نفسها..

- آسفة.. أنا واثقة أن الحلوى التي حضرتها رائعة يا ماريكا.. لكنني لا أستطيع تناول لقمة أخرى.  
وقال بأدب دون أن يعبأ بزوجه التي فقدت شهيتها.  
- بما أننا اكتفينا فلنذهب.

تمتت ماريكا وهي تراقبهما يصعدان الى السيارة:  
- اكتفينا!.. المكتفيان لا يحبان... إنهما ينفضان السأم عن نفسيهما!

لكن السأم لا مكان له في علاقة كعلاقتهم.. فالتوتر بينهما ملموس تقريباً.. وكأنهما معاً يخوضان في محيط لا قرار له! لكن السؤال الذي طرحته اليكس على نفسها بحدة كان: لماذا أشعر بهذا الألم؟ لماذا يزعجني ألا يراني جذابة؟ ولمّ الاهتمام؟ مادمت سأتركه في أول فرصة تتاح لي.

تذكرت اليكس مرة، أنها في طفولتها تشاجرت مع ابنة عم لها بصدد لعبة انتزعتها منها الفتاة.. فقالت الأم ببرود:  
- أخشى أن تكون اليكسندرا مدللة قليلاً.. فهي تشتهي كل ما تحرم منه!

أيكون استنتاج تلك العمة صحيحاً؟ حين حاول تيغر أن يضع علاقتهم على سكة حميمة، قاومه بازدراء.. فهل تشتهي الآن تلك اللعبة التي حرمت منها، أترغب في اهتمامه لأنه صدّها؟

حين تجاوزت السيارة الكازينو، التفتت نحو المبنى الذي يضح بالمرح.. فقال وكأنه يرد على سؤالها:  
- الوقت مبكر قليلاً... إن غرف الألعاب مفتوحة، لكن

## ١١ - بين دفتي الجحيم

مضى تيغر، أمام خيبة أمل الخادمة ماريكا، يقلب طعامه عند العشاء بنكد. فقد أملت أن يحمل معه هذا المساء تغييراً ما في تصرف العروسين حتى يبدأ شهر عسلهما الفعلي.  
أشار برأسه إليها، فسارعت الى سحب الطبق من أمامه ثم سألت بنزق:

- هل أقدم الحلوى سيدي؟

- عفواً.. أوه.. لا.. لا أريد شيئاً شكراً لك ماريكا..

ثم وكأنه تذكر أنه ما عاد وحيداً، فأضاف:

- ماذا عنك اليكس.. هل تريدین تذوق ما تصنعه ماريكا

من لذيذ الأطعمة؟

شمخت ماريكا بأنفها غروراً.. لكنها لم تلن أمام مظهر الكونتيسة الشاحب، ووجهها التمس.. فمن وجهة نظرها أن الكونتيسة خرجت في أيام من طور الطفولة الى طور النضوج، من برعم مغلق الى زهرة متفتحة تنتظر من يقطعها.. إلا أن الكونت، كما يبدو، لا يلاحظ هذا.. أهو أعمى؟ أم أنه لا يرغب في الرؤية؟

ابتسمت اليكس معتذرة للخادمة المنتظرة بقلق.

## فراشة الخبثة

الزحام في الحلبة اضطر الى شد ذراعه حول جسدها وأحست تدريجياً بعضلاته المتشنجة تسترخي تحت أصابعها على وقع الموسيقى الحلوة، وفي الجو الممتع، يشجعه على هذا تصرف الفتاة الراضية بين ذراعيه.. همس لها في أذنها:

- أينها المجنونة المبكرة النضوج.. لماذا قررت فجأة أن تتباهي بأنوثتك وأن تعرضي سحرك أمام الزوج السريع التأثر؟ احذرك اليكس.. أنت تتصرفين بغير حكمة.. إلا إذا..

وترك السؤال معلقاً، فدار رأسها في موقعه ذلك أن أكثر ما ترغب فيه الآن من الدنيا هو اختبار ردة فعله إزاء السر الذي بدأت الآن فقط بالجرأة على التفكير فيه.. كل المعرفة التي عرفتھا اليوم كانت تدق باب أفكارها تطلب منها الاعتراف.. لكنها رفضت السماح لها بالمرور. أما الآن.. وبعد احساسها بالراحة، واجهت الحقيقة الكامنة وراء الرسائل التي كانت تنتقل منذ أيام من داخل قلب خافق، وأعصاب متوترة، وشوق معذب مجهول الاسم. لكنها عرفت الآن أن اسمه.. الحب. إنه احساس عظيم مثير، قوي الى درجة تجعله يتغلب على الكبرياء والشك وعلى الإذلال الذي أحست به بعد أن ظهر اليوم على الشاطئ.

وأحست بشفتيه تلمسان شرياناً يفيض بقوة فوق صدغها، وسألها مجدداً:

- حسناً.. اليكس؟ ما قولك؟

انفجرت أحاسيسها فبدأت ترتجف.. كانت عزلتهما بين الجمع المترنح الراقص، بالنسبة لها كاملة حتى استطاعت أن

الأجواء غير مناسبة الآن. ثمة نادٍ ليلي غير بعيد عن هنا، فيه استعراض جيد.. سنتقضي ساعة أو ساعتين فيه قبل أن نعود الى الكازينو.. ما رأيك؟

تمتمت وقلبها يخفق:

- أقبل بكل قرار تتخذه.

ثم التزمت الصمت، تخوض حرباً داخلية ضد مشاعر معقدة لم تستطع منعها.

- ما رأيك بالمكان؟

- رائع!

وأسندت جسمها الى الكرسي ثم راحت تحرك أصابع قدميها، تهين نفسها للتمتع بمعزوفات الفرقة الموسيقية التي توشك على العزف..

كانت الموسيقى التي صدرت أخيراً عنها تنسجم مع جو الملهى الحميم.

- أترغبين في الرقص؟

فاجأتها دعوته لكنها قبلتها بلهفة:

- أجل.. أرجوك.. أحب الرقص!

بينما كانت تتسلل الى ذراعيه، تذكرت نصيحة جدتها.. «كوني صادقة مع نفسك كما أنت صادقة مع الآخرين». لكن، صعب عليها أن تعترف بأن كل ما تريده هو أن تحس بذراعيه حولها. وأن تضع يديها على منكبيه العريضين.. وأن تريح رأسها على قلبه، لترشف من رحيق قوته الدافئة..

كانت بادئ الأمر متحفظة، لكن مع مرور الوقت، اشتداد



تضغط خدها المحترق على صدره متممة:

- تيغر.. لقد حدث لي شيء غريب.. ويجب أن أعترف لك.. الآن..

كان نفاذ بصيرته، وسرعة ادراكه حساسين جداً ذلك أنه أدرك ما توصلت إليه، فجذبها إليه وقال يحثها:

- يجب أن أعرف.. يا عزيزتي.. قل لي!

في هذه اللحظة بالذات انقطعت الموسيقى، ودوى صوت قطع انسجامهما، فأعادهما إلى أرض الواقع فإذا هما آخر زوجين على الحلبة.. ابتعدا على مضض لكنه ترك يدها في يده وقادها إلى طاولتهما.. وخلال الوقت الذي قضاه الساقى في تقديم الشراب، لم تغادر عيناه وجهها.. وجهاً أصبح أجمل، تضيئه عيناها، وارتجاف شفتيها، وتضريح وجنتيها.

حين تركهما الساقى.. أخبرتها شرارة في عيته أن صبره قد نفذ. فتفتست عميقاً:

- تيغر.. أنا..

قاطعها صوت نسائي مثير، له تأثيره القوي على الأعصاب:

- تيغر.. يا عزيزي! لم أستطع تصديق عيني حين رأيتك تترك حلبة الرقص!

وحلّ صمت رهيب بينهما، يطلب ردة فعل. لكن تيغر راح يشتم شتائم لم تسمعها إلا اليكس ولم يلبث أن جرّ نفسه ليفف ملقياً تحية مؤدبة على الدخيلة غير المرحب بها:

- مساء الخير جانيت.. لعلك بخير؟

إذن هذه هي جانيت!

- أين كنت طوال الأسابيع الأخيرة؟

توترت أعصاب اليكس. فلم يكن سؤالاً عابراً، بل سؤالاً يطلب تبريراً لغيابه.

أحنى تيغر رأسه بتجاهل وصل إلى حد الغفظة. كان من قاطعتهما امرأة يرافقها رجل.

- ربما التعارف سيفسر الأمر لك اليكسندرا.. أود تقديم اثنين من أقدم أصدقائي الآنسة جانيت غرانديس وشقيقها فيليبي.

لم تعر جانيت التفاتاً لاليكس.. لكن شقيقها بدا مهتماً.. فقد لمعت عيناه إعجاباً وفغر فمه دهشة.. لكن تيغر أتمّ التعارف:

- جانيت، فيليبي، أقدم لكما الكونتيسة اليكسندرا بيرتاكس زوجتي.

احتاجت جانيت إلى كل ما أوتيت من رباطة جأش لتكيف نفسها مع الصفعة التي وجهها إليها تيغر، فركزت عيناها لحظات على اليكس والكراهية تظل منهما، ثم انتقلنا إلى تيغر، فتشنان في تعبيره الجامد عن دليل مزاح. وقالت مختنقة:

- أنت مازح كبير تيغر.. ألبست هذه مزحة؟

حرك فيليبي الذي يشبه أخته إلى حد كبير قدميه وضحك، مقترحاً بتردد:

- هل لنا أن نجلس؟ يبدو أننا نجتذب اهتمام الناس.

نظرت اليكس إلى ما حولها فوجدته على حق.. إذ كانت

أنها مازالت طفلة، فقد فهمت من تلميحاتك أسوأ ما يمكن من تفسيرات، وأما بالنسبة للدعوة، فقد كنت سأرسل لك دعوة لولا وجودك في أثنائها إقامة مراسم الزفاف.

هزت جانيت كتفيها عن غير اكتراث، فقد اكتفت من اطلاق التهم، ثم ابتسمت معتذرة، واستقرت في مقعدها:

- سأسامحك هذه المرة... يا عزيزي تيغر... لكنني سأوقع اعلاماً مسبقاً بكل حدث جديد.

قاومت اليكس لتستجمع ما تبقى من كبرياتها المشتتة وقالت:

- تصدع زواجي مثلاً؟

يا لحماقتها! يجب أن تشعر بالامتنان لأن جانيت حالت بينها وبين الالتزام الفعلي الغني... أكانت حقاً مستعدة على الاعتراف بحبها له؟

لم يكن لعرفان الجميل، الذي قدمه فيليب بالطلب منها مراقبتها حدود. فقد قبلت دعوته دون تردد ووقفت شامخة الرأس تتحدى نظرة تيغر.

أحست بالراحة لأن فيليب لم يحاول محادثتها في بداية الرقص، بل أمهلها بعض الوقت لتتماسك، وحين تكلم أخيراً استطاعت فعلاً أن تعطيه كامل اهتمامها.

- كنت وشقيقتي صديقين لتيغر منذ الطفولة وكانت عائلتنا مقربتين دائماً ذلك أن والدينا وجدينا كانوا شركاء عمل. كانت العائلتان تتبادلان الزيارات دائماً. ولهذا نعتبر قصر بيرتاكس بيتاً ثانياً لنا.

كل العيون منصبة عليهما. فتیغر وجانيت معروفان دون شك لزيائن النادي... خلال الدقائق التي أحضر فيها السقاة المقاعد، استطاعت جانيت لجم انفعالها عن وجهها، دون عينيها.

قصت جانيت من أول جملة فاهت بها إثارة الازعاج، فقد ركزت نظرة غاضبة على تيغر وقالت:

- بما إنك لم تنكر أعتقد أن ما قلته صحيحاً. لكن لم هذه السرية عزيزي؟ ألم نتفق خلال علاقتنا الطويلة السعيدة على ألا يكون بين أي طرف منا التزام؟ وأعتقد أن صديقين قديمين مثلنا كانا يستحقان دعوة لحضور حفلة زفافك؟ أم خفت أن أختلق لك فضيحة، أو أن أحاول افناعك بتغيير رأيك؟ وأنت تعلم أن لي قدرة هائلة على الافناع. فهل خفت أن أفتحك؟

هبط قلب اليكس كحجر ثقيل، ففي جمل قليلة، رسمت جانيت لوحة عن علاقة حبيبة. إنها ليست ساذجة حتى تتصور أن تيغر كان أعزب متزماً. فما من رجل جذاب قد يبلغ هذا العمر دون أن يكون له علاقة... لكن كان عليه أن يكون لانقاً شريفاً، ويخلص نفسه منها قبل أن يتزوج!

اختفت شهقة فيليب المدعية، مع ألحان الموسيقى التي عادت الفرقة الي عزفها. لكن رد تيغر الحاد لم يختف، فقد مال الي جانيت يربت يدها ويقول بلهجة فيها تأنيب ومزاح:

- هيا الآن جانيت... ما هذه الدراما... أنا وفيليب نعرف تماماً مدى ميلك الي افتعال الضجيج الكبير بشأن لا شيء... لكن زوجتي الشابة لا تعرف هذا. انظري كيف صدمتها... بما

قالت بلطف:

- أرجوك لا تحاول الدفاع عن تيغر.. فلا حاجة لذلك حقاً.

بدت الدهشة عليه:

- لا حاجة لذلك؟

- أبدأ.. فما زواجنا إلا تمثيلية.. إنها قصة طويلة لن أضجرك بها، لكن تأكد يا سيد، أن تلميحات أختك لم تحزني بل وجدتها لا تستحق الاهتمام.

أحس بأن هناك خطأ ما، في مكان ما. لكنه ليس قادراً بعد على تحديد هويته. لكن لزوجته تيغر ميزة خاصة وسيكون من المثير للاهتمام أن يكتشف ما إذا كانت باردة كلها أم ما يظهر منها فقط. وكررت الفرقة النغم النهائي مرة.. مرتين.. ثلاثاً، وشهق الراقصون محتجين ضاحكين... فتابعت الفرقة نغمًا ناعماً رومانسياً.

حاولت اليكس أن تترك الرقص.. لكن فيليبي منعها ممسكاً بمرفقها، وجرها الى ذراعيه ثانية، قائلاً بخبث:

- لقد لمحت الى أن مشاعر تيغر لا تهملك. لكن بما أنني أعرفه أكثر منك وأعرف مدى تملكه، فستقوم بالطريقة المثلى لتعاقبه! إن عبثنا قليلاً غضب تيغر..

كان الاغواء قوياً، فوافقت منهورة:

- حسناً.. فليكن ذلك!

لكنها بهذا أثبتت لفيلبي كذبها.. فلو لم تكن تعباً به لما

قبلت أن تغيظه.. إنها تحاول حتى خداع نفسها بادعاء عدم الاكتراث.. وكبت فيليبي بسمة سرية، نعم هو لا يهتم كثيراً بأخته، لكنه يقدر صداقة تيغر.. وهي صداقة يوشك أن يضعها على المحك!

اطلقت اليكس فكرة أن يرافقهما جانيت وفيلبي الى الكازينو. وأظهرت جانيت الهجة، وكذلك فيليبي. كان عبث واليكس يسير على ما يرام، وكان يضغط به على اليكس في كل مناسبة، لكن العامل الذي أثار خيبة الأمل هو تصرفات تيغر، فبدلاً من أن يغار من فيليبي، تبنى موقف المراقب، الذي ترفه عنه جانيت ذات الخبرة في التعامل مع الرجال. وأحسست اليكس بقلّة اهتمامه، مما زادها تهوراً.. كانت تعلم أن تصرفها سيء، لكن ياسها جعلها غير مهتمة.

وأمسك تيغر بيدها مرة وقال بلطف:

- أنت تجعلين نفسك أضحوكة عزيزتي.. أفهم لماذا تفضلين صحبة فيليبي.. لكن أوجب أن تظهرني معادتك على هذا النحو؟

فالتفتت إليه تقول متسعة العينين تدعي البراءة:

- أنا أقدم لك معروفاً يجعله مشغولاً عنكم. إذ يبدو أن لديك ما تريد أن تتحدث به مع شقيقته!

- بالعكس تماماً.. نحن لا نكاد نتحدث، إننا نخوض غمار أمور قديمة.

- لكن هذا أفضل! أنت محظوظ لأن لك صديقة تعرفك الى

درجة يغدو الحديث بينكما غير ضروري. فقد يُعبر عن أمور  
كثيرة في صمت حميم!

\* \* \*

١٢ - أنياب من حرير

كان جو الكازينو عاصفاً، مثيراً، ومكتظاً بحيث كان من  
السهل على اليكس وفيلبي الاختفاء عن عمد. زودها بكومة من  
«الفيش» ثم راح يدور بها من طاولة الى أخرى. يشرح لها  
تعقيدات كل لعبة. لكن، بما أنها كانت في مزاج متكدر فقد  
وجدت المغامرة حدث جديد له سحر مثير راح ينمو في نفسها  
كما ينمو «الفيش» أمامها على الطاولة وتراكم.

قال لها فيلبي معلقاً على الريح:

- إنه حظ المبتدىء!

فقد فاز رقمها مرة تلو الأخرى وتراكم «الفيش» أمامها..  
لذلك كرهت أن تتوقف عن اللعب، لكنها أذعنت حين نظر  
فيلبي الى ساعته قائلاً:

- إنها الثانية ليلاً يا اليكس، اعتقد أن من الخير لنا أن  
نبحث عن الآخرين..

- أنت على حق، هل لك أن تصرف هذا «الفيش» فيما أنا  
أحضر معطفي؟ سألقاك في البهو بعد خمس دقائق.

تأخر فيلبي بالعودة.. وبما أن مراقبها لم يأت بعد راحت  
اليكس تجوب البهو مضطربة. ثم لاحظت أشجار نخيل أمامها،

الطويل الذي عقب قوله، حتى ظننت أنهما ابتعدا. وكانت على وشك اشراف النظر من وراء الأشجار، حين قالت جانيت:

- أحسبك عزيزي.. وأتمنى لو يكون لي حظك السعيد! قريباً، سأكون مضطرة للزواج. فأنا وفيلبي متهوران جداً. وهذا مرده الى تربيتنا. فقد ترعرعنا ونحن نعتقد أننا أثرياء، كانت طفولتنا طفولة ولدين ينعمان بالثراء تحت ظل عائلة ذات مركز رفيع، وما علمنا إلا بعد موت والدنا أن المال قليل وأنه يجب علينا إذا أردنا الحفاظ على مستوى معيشتنا الذي اعتدنا عليه أن نعتمد على ما نملكه من أشياء ثمينة.

ضحكت بقساوة:

- لكنها ليست كثيرة، لأنها لا تتعدى المظهر الجميل والقدرة على ارتداء أفخر الثياب ومعرفة الناس المناسبين، والتحرك في الوسط الملائم، إن هذه مواهب جميعها أهلتنا للوصول الى هدف واحد هو الزواج من ثري.. منذ أسابيع، عندما كنا نזור أتيانا كاد فيلبي يتقذنا من الافلاس... فقد أغرمت به ابنة صناعي انكليزي، نزلت في الفندق ذاته.. وقد بدا أن كل شيء يسير على ما يرام حتى نزلنا صباح ذات يوم لتناول الفطور فاكشفنا أنها ووالدها غادرا الفندق فجأة في الليلة السابقة، دون أن يتركا عنواناً أو كلمة وداعية. لذلك بقي الأمر الآن بين يدي... فهذا الألماس الذي ارتديه هو كل ما تبقى من ثروة العائلة. سنبيعه لتقوم برحلة بحرية، على أمل أن أكسب زوجاً ثرياً. فتمن لي الحظ، تيغر. تمن لي الحظ الذي كان لك.

فاتجهت إليها آملة أن تختبئ من العيون الفضولية التي ترمقها... كانت الأصوات تدمدم حولها، لكن حين وقفت تحت أغصان النخيل الضخمة المروحية ما عادت تسمع سوى صوت واحد خفي على ما عدها.. لكنها سرعان ما تبين لها أن جانيت وتيغر يجلسان خلف امتداد أخضر.. فارتدت، تكتم أنفاسها، وترثت حتى سمعت رد تيغر على سؤال وجهته له جانيت:

- لماذا تزوجتها يا تيغر؟ إنها ليست من موطنك، ولا من ثقافتك.. بل إن كل شيء فيها متناقض كل التناقض مع ما اعتدت عليه من النساء.  
ربما هذا هو السبب.

- أوه.. هيا الآن تيغر.. لا تكن مراوغاً.. أليس من حقي أن أعرف؟ كنت تتهرب منذ سنوات من موضوع الزواج، وتجنبته بلباقة تثير الإعجاب، غير متأثر بإغراءات النسوة اللاتي رغبن في أن يصبحن الكونتيسة. وكان أمامك نساء لا يحصى عددهن، أنيقات، مثقفات، ومنطلقات، لكن جاءت هذه الاميركية، التي لا أرى فيها شيئاً إلا بهاء الطلعة وبعض التصرف الساذج.. فتزوجتها فوراً.  
تسمرت اليكس في أرضها لا تستطيع الحراك، وسمعته يرد:

- أنت امرأة منطلقة جانيت. ولقد تزوجت اليكستندرا لسبب واضح جداً، لا حاجة بي الى ذكره، لأنه واضح.  
أوشكت اليكس على الصراخ لأن صبرها نفذ من الصمت

## فراشة الحبة

وقفت قرب النافذة محطمة الأعصاب تركز بصرها على القمر الأصفر الكبير.. لن تبكي. كبحتم دموعها. لكنها لم تلبث أن اغمضت عينيها فقد بدأ القمر يغيب وراء ستار من الدموع.

جاءها صوت تيفر هادئاً بشكل خطير:

- اليكس! أنا أنوي الدخول.. فهل أكرس الباب؟

- لا! دعني وشأنني، ألا يمكنك هذا؟ أرجوك، دعني بسلام..

ربما لاقت توسلاتها الأثر المطلوب. فقد سمعت وقع خطواته ثم الصمت.. فجاء دوى صوت ارتطام كتفه بالوواح الباب، وتهاوى القفل تحت ضغط جسده، وانفتح الباب.. فدخل الغرفة بهدوء.. سحب نفساً عميقاً ثم قال بصوت غير غاضب:

- ما كان ما فعلته ضرورياً لو... والآن.. قولني لي لماذا تصرفين كطفل حردان.

- كنت طفلة.. ساذجة بريئة بسيطة.. لكنني هذا المساء كبرت!.. أليس من حقي أن أشعر بالسخط.. خاصة بعد ما أوضحته لي في حديثك مع جانيت؟ لقد رضيت بأنك تزوجتني لمالي، لكنني لم أستطع احتمال تفاخرك وتباهيك أمام الآخرين بحظك الطيب.

وضع يداً ثقيلة على كتفها:

- ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدثين.. فإلى ماذا تلمحين بالضبط؟ فلا أذكر أنني قلت لها شيئاً يزعجك. كانت جانيت

أحست باشمزاز كاد يجعلها تتقيأ. فارتدت متعثرة الى غرفة زينة النساء التي وجدتها فارغة، فاستندت رأسها الى الباب ترتجف قرفاً.. إن اليونانيين مشهورين بمظاهرتهم الخداعة إلا أن أحقر المرتزقة لا يقارن بتيغاروس بيرتاكس وصديقه!

مضت مدة طويلة قبل أن تتمكن من استعادة رباطة جأشها، للعودة الى اليهو. بعد لحظات ظهر فيليب وهو تكاد تنادي سيارة أجرة تنقلها بعيداً عن تيفر.. فهي تحس أنها لن تطبق رؤيته أو التحدث إليه. تعلم أنه تزوجها لمالها. لكنها ما ظنته يبحث الأمر بصراحة مع جانيت، مهتماً نفسه على حفظه الطيب.

رد فيليب نظرتها الضائعة الى تعبها، وقال بقلق:

- أنا آسف اليكس.. كان هناك صف طويل يطلب صرف «الفيش» وكان الإجراء بطيئاً دعيني أساعدك في ارتداء معطفك. لا بد أن الآخرين يعيدون عنا.. أوه.. ها هما..

كرهت اليكس قلق تيفر الزائف حين قال:

- يا الله ما بالك يا فتاة؟ تبدين مرهقة! كلما أسرعت الى الفراش كلما كان ذلك أفضل لك.

أحست وهما في الطريق الى الفيلا بنظراته القلقة لكن حين توقف أمام الفيلا، نزلت من السيارة وأسرعت الى الداخل متجاهلة سؤاله:

- اليكس.. ما الخطب؟

لحق بها، لكنها لم ترد عليه بل دخلت غرفتها، فحاول فتح الباب عليها فإذا هو موصد:

- اليكس.. دعيني أدخل! فأنا أصرّ على معرفة ما أزعجك!

الكثير معلق هكذا بيتنا. أحياناً.. كنت أمل أن تتحرك نحو تفاهم أعمق.. منذ ساعات فقط كنا نفوص في أعماق اكتشاف ما في أفكارنا. نختير روح المرح في كل منا.. فهل تنكرين ذلك يا اليكس، أنتكرين أنك في لحظات ما خلال اليوم نسيت قسمك يوم الزفاف على كرهى كما نسيت أنتي الرجل الذي اضطرت الى الزواج به؟

- أتجرؤ على التلميح بأنني لم أكن مضطرة الى الزواج بك؟ هل ظننت بغيا أن هناك في أعماقي مشاعر لا أستطيع معرفتها، كما ظننت جدتي؟ إذا كان الأمر هكذا فأنت لا تعرف عني شيئاً! دعني أذكرك بأنني حتى لحظة زواجنا كنت في طريقي الى أن أصبح طبيبة، وأنني لسنوات امتزجت مع الجنس الآخر في جو حر، كنت أتنافس فيه مع الرجال بموضوعات متعددة منها على الأخص الجنس وهذا النقاش طبيعي بين الرجل والمرأة الحرة التي هي تساويه في الحقوق والواجبات. فلو كنت أحبك لاعترفت بحبي دون تردد.

- أنت تخلطين الأولاد بالرجال، لقد علمتني خبرتي أن نضوج الطلبة في الجامعات يكون بطيئاً خلال سنوات الدراسة. فهم يملكون أرواحاً شابة ثائرة لكنهم مع ذلك يقون تحت جناح آبائهم. أما نظامكم الاجتماعي الحر الذي يؤمن للطلبة التعليم والمنح والمساعدات فيجعلهم يجتازون صعوبات الحياة من دون ألم.. فهو يجعلهم كسالى مترددين غير قادرين على مكافحة الصعوبات دون دعم. إن هؤلاء الأولاد الذين تخلطين بينهم وبين الرجال كانوا دون شك يعاملونك بطريقة تخلو من

منزعجة لأن السنوات الأخيرة كانت شديدة عليها، فمشاكلها كثيرة...

- والمشكلة الرئيسية هي كيف تستطيع أن تحلوا حلوك وتجد لنفسها عريساً ثرياً!.

- آه.. فهمت لقد سألتني جانبيت لماذا تزوجتك، ويبدو أنك تحت تأثير وهم محدد، أخذت إجابتي على غير محلها. ثمة ما كان يجب أن يقال لك قبل الآن... وهي معلومات، قد يعدها بعضهم غروراً من جهتي. كنت قد أخفيتها عنك، لكنني أظن أن الوقت قد أزف لأطلعك عليها.

- أكاذيب أخرى؟ لا شكراً لك. لقد سمعت ما فيه الكفاية! قطب جبينه متردداً... يبحث في وجهها عن لمحة رقة، لكنه لم يجد سوى ذفن شامخ بكبرياء، وفم متشدد بعناد، وعينين خضراوين مبللتين بالدموع... فاسود وجهه بخيبة الامل...

عرفت أنه يعاملها معاملة الاطفال حين أمسك بيدها قائلاً بهدوء:

- فلنجلس ولتحدث يا اليكس.

كرهته لأنه قادر على أن يظهرها طفلة، فصاحت به:

- ليس بيننا ما نتحدث عنه!

وتركته قاصدة النافذة، لكنها أحست أنه بلحظات أصبح خلفها. كان قريباً منها حتى كاد يلمسها ومع ذلك فقد قاوم الاغراء... وخاطبها بهدوء:

- كيف لنا أن نصل الى تفاهم إذا لم نتكلم؟ من الخطأ ترك

أحست بالدموع تقفز من وراء عينيها فأدارت وجهها بسرعة، لكنه لمح لمعان الدموع تحت ضوء القمر، فارتفعت يده وأمسك بذقنها. فلاحظ بحزن تكررها الشديد.

- إذا كان اعترافي يرضيك فسأبوح لك بأنك عذبتني اليوم عذاباً لا يطاق وقد بقيت، دون انقطاع، أذكر نفسي بأنك بحاجة إلى الوقت، وبأن عليّ ألا أستعجلك، لكن للصبر حدود وقد كاد صبري يتفد. أنت صغيرة.. وبريئة، لكنك زوجتي ولا أريد الانتظار إلى الأبد.. لقد حاولت.. والله يعلم كم حاولت!

فجأة تلاشى كل غضبه وكأنه عباءة تسقط على الأرض. بدأ على صوته القلق وهو يتابع:

- أردت يا صغيرتي بكل رغبة أن تأتي إليّ بارادتك لتعترفي بمشاعر رفضت حتى الآن الاعتراف بها.. أردتلك دافئة، ناعمة محبة، وهذا ما أنت قادرة على أن تهيبه، وتشوقتي إلى أن أراك على هذه الصورة. ربما من البلاهة مني أن أقول لك ما هو المفتاح الذي قد يفتح لك ذهنك المرتاب.. لكنني أود لو تستخدمينه، كآخر ملاذ وعندها سيكون نصرك أحلى بكثير. لو أعطيتني الحب لتغلب على الشك.. قد أحصل عليك بالقوة، يا زوجتي... ولن تجدي في عزلتنا هذه ما يسمع احتجاجك إلا طيور البحر، والأمواج الضاربة الكفيلة بإخماد صدى صراخك. ارتدت مذعورة من تهديده فوضعت أمتاراً بينهما.. لكنه قال بلهجة جافة:

- لا تخافي.. فأنا لست تماماً ذلك الحيوان الذي تظنينه.

التمييز الجنسي... أنت بالنسبة لهم كنت متساوية، رفيقة جيدة.. لا تظلمين منهم أكثر مما هم مستعدون لتقديمه... فأنسوك أنوثتك يا اليكس! مثل هذا الوضع لا يظهر في بلادتي التي يرمى فيها الصبي إلى الحياة الصعبة، ليخرج منها رجلاً مليئاً بالتوق إلى السيادة، وإلى حماية الآخرين وإلى أهم من ذلك إلى أن يحب المرأة التي يختارها زوجة له...

فجأة قصر المسافة التي بينهما حتى استطاع أن يهمس في أذنها:

- لا تخافي من النمر عزيزتي.. لديه أكثر بكثير مما يستطيع جرو صغير أن يقدمه!

سمرها قوله.. فالتقطت نفساً حاداً وكادت تميل إلى الخلف لتكوى على كتفه، لكن صورة جانيت لمعت أمام عينيها، فقالت له بمرارة:

- أحسنت فعلاً عندما شبهت نفسك بوحش الغابة.. فكل ما فيه من صفات موجودة فيك.. المكر، القوة، والفقدان الكامل للعطف على من هم أقل مساواة.

- لكنك لم تفكري على هذا النحو بعد ظهر اليوم. ولا هذا المساء حين ارتجف فمك وهو يهمس بالسّر الذي رغبت في أن أشارك إياه. إلى ماذا كنت تتوقين للبوح يا اليكس؟ هل بدأت أخيراً تعرفين... الحب؟

التفتت تواجهه عيناها الخضراوين اللتان نفتتا سم الغضب: - مخلصتك خصبة تنفق مع غرورك فقط..! فأنا على الأقل، يجب أن أحترم وأعجب بالرجل الذي سأحبه!



جمد في مكانه . . ثم قال :

- لو أردت الزواج من جانيت، لما تزوجتك أنت؟

ضحكتها المتصنعة رنت ببرود في الغرفة :

- بالطبع كنت ستتزوجني فأنتما تريدان الحفاظ على مستوى

رفيع في العيش هو بعيد عن امكانياتكما! فكلكما بخيل شحيح

الموارد . . يا سيد . . وجشع البخيل يدفن كل عاطفة!

\* \* \*

سأنتظر قليلاً بعد، على أمل أن تقرر القطة الصغيرة إخفاء مخاليها .

توترت أعصابها لأنها رأت شيئاً ما خاصاً في تصرفاته . .

رأت الثقة والطمأنينة التي لم تكن من قبل وجسداً هائلاً وابتسامة

سرية تتلاعب على أطراف فمه الذي يحمل ثقة بأن النصر آت

عاجلاً أم آجلاً . وقفت ورأسها محني، كان يجذبه كالمغناطيس

خيال موشح يستحم تحت ضوء النهار .

- اليكس . . .

سرت في أوصالها رعدة حين امتدت يدها لتمسكاً بكتفيها :

- لماذا يجب أن تقاوميني دائماً؟ لقد تعبت من هذه

الحرب . . الحياة قد تكون رائعة لو القيت سلاحك . ليس

بسبب الهزيمة، إنما لأن هذا النوع من الاستسلام حلو . .

أحبك! فتعالي إلي! حبيبي . . أرجوك!

ترددت وهي ضمن دائرة ذراعيه، اللتين هما شرك ناعم

جميل . ها هو يعرض عليها الخيار بين أن ترمي نفسها فيه أو

تهرب منه . وكادت تلتقط الطعام، تحشها ضربات قلب، وشوق

جسد إلى لمسته، وارتعاش فم جانع إلى قبلته . . إنه ذكي

كالشيطان، صياد بشباك حريرية، نمر يفضل أن يتملق بدل أن

يهجم .

احتاجت إلى إرادة هائلة لتتخلص من سحره . . ارتدت عنه

مرتجفة باكية، حتى أصبح عرض الغرفة بينهما .

- آسفة . . لا أستطيع القبول . . فلن أكون المرأة الثانية في

حياتك بعد جانيت .

مداخن مرتفعة سوداء، وأمام كل منزل يشرف على البحر مراسي من الخشب.

وكانما كان تغير يقرأ أفكارها:

- إنه لمن المؤسف أن تترك جزيرة كهذه مهملة. كانت ريشمون في زمن ما تعتبر مرتع التنزه لدى الاسبارطيين وكانت مكسوة بأشجار الفاكهة والبرتقال والزيتون والكرمة، وقد سكنها في تلك الأيام أرستقراطيون واستقروا في فيلات فخمة. لكن هذا كان قبل بناء مصانع توبيب تعليب السمك. . . حيث أصبحت فيما بعد المورد الرئيسي للسمك في المنطقة.

- أصبح أحبيح أن كل السموم تتلاشى أمام قطرة من زيت الزيتون المنتج في هذه الجزيرة؟

- هذه نظرية رومانسية. ثبت بطلانها أكثر من مرة. . .  
فزيت الزيتون نافع ولو كان من إنتاج أي أرض كان. مع ذلك أعلم أنك تمسكين بأوهامك، ولا شك عندي في أنك ستستمرين في الايمان بأن هذه نظرية صحيحة.  
ردت بمرارة:

- أتلومني إن كنت أجد الوهم أجمل من الحقيقة؟  
كان ما يزال مقطب الجبين حين أوقف المركب أمام منزل جدتها، الذي تبعث شرفته السوداء من جراء تراكم دخان مصنع قريب، الانقباض في النفس.

صاحت إحدى الجارات متكئة على نافذة منزلها:  
- السيدة خرجت لزيارة صديقتها أوه. . . هذه أنت آنسة كورديس! جدتك ستعود بعد وقت قصير. إنها نادراً ما تغيب

١٣ - الآن أو أبداً

تجنبتي اليكس تناول الفطور مع تغير خشية أن تصاب بدوار عاطفي مرة وبخيبة أمل أخرى. لكنه بحث عنها، سائراً بكل سهولة في الممر المفضي الى الشاطئ الذي وجدها فيه جالسة تفكر، عابثة بكومة غير عادية من أصداف البحر كانت قد أمضت ساعات الصباح الأولى في جمعها.

- لقد وعدنا جدتك بزيارتها. . . أنسيت؟ اعتقد أن هذا اليوم مناسب!

- سأحب هذا كثيراً، سأبدل ثيابي.

وسبقته الى الفيلا، فارتدت بعناية ما يناسب الزيارة، راغبة في الحصول على قبول الجدة تينا. . . فارتدت ثوباً أخضراً زاهياً من الحرير. ثم سرحت شعرها حتى أصبح ناعماً لماعاً كستارة من حرير أحمر متدل فوق كتفها.

لجزيرة ريشمون الصغيرة جو يختلف عن كل الاجواء في شبه جزيرة لا كونيا. . . إنها جزيرة يسكنها صيادون ولدوا مع البحر، وهي مقسمة الى وحدات سكنية منسقة، بينها مصانع صغيرة لتصنيع السمك وتوضييه، إضافة الى معاصر الزيتون، ومراكز لتعبئته. . . سقوف أبينتها من الآجر الأحمر ولهذه الأبنية

عن منزلها أكثر من ساعة، ولم يمض على غيابها إلا عشر دقائق... أترغبين في دخول منزلي والانتظار؟  
- شكراً لك... أنت لطيفة جداً.. لكن أرغب في زيارة مصنع التعليب، فأرجو أن تبليغي جدتي حين تعود بأننا هنا.  
- حاضر يا آنسة... سأفعل هذا.

التفتت اليكس الى تيغر وكأنها تعتذر:

- أتمنع لو زرنا المصنع؟

- لا.. فقد مضت سنوات منذ أن زرت فيها هذه الناحية..

لم تكن اليكس تجد جيران جدتها لطفاء. وكانت تعذرهم لأنهم ذاقوا الأمرين من الفقر والعمل الشاق. إلا أن ما أدهشها هو الطريقة التي استقبل فيها العاملون تيغر. كان كل رجل يتوق الى أن يصفحه، وبعضهم راحوا يصبحون مرحبين. وقد تقدم منهم مالك المصنع نفسه مرحباً. فقادهما ليربهما مصنعه بكل فخر.

أحست اليكس بالاستياء، فجدها عمل مدة طويلة في هذا المصنع ومع ذلك لم تتلقَ من العمال القدامى الذين يتذكرونه إلا نحيات مؤدبة. لقد رحبوا بها لكنهم رُحّبوا به أكثر بكثير.

سار اليكس وتيغر جنباً الى جنب، كان يضع ذراعه حول كتفها، ويقودها لتتعرف على مراحل التصنيع، وراح يذكر لها معلومات دقيقة عن المصنع تدل على دراسة عميقة لا على معرفة سطحية كمعرفتها، في هذه الأثناء كانت وجتاشا مضرجتين لا من الحر بل من الإحراج بسبب تعليقاته الخبيثة. كانت الجدة تنتظرهما أمام الباب حين عادا الى منزلها.

استقبلتهما بقبلة، ثم أدخلتهما الى الداخل، لتلقي نظرة متسائلة على وجه اليكس الشاحب. لكنها لم تعلق على ذلك حتى جلسوا جميعاً بارتياح في غرفة الجلوس المرتبطة النظيفة. حين صبت القهوة، وقدمت طبق البسكويت اللذيذ.. ارتدت الجدة في مقعدها لتقول لتيغر مويخة:

- توقعت أن أرى حفيدتي مشرقة يا سيد.. وبدلاً من هذا

أجدها حزينة شاحبة وكأنها راهبة.

تورد خدا اليكس.. فمن الصعب جداً خداع جدتها ذات العينين الشديديتي الملاحظة واللسان السليط.

لكن تيغر لم يهرج. بل نظر الى اليكس، والارتياك في عينها وقال بخفة:

- يجب أن تعلمي سيدتي، أن اليكسندرا مخلوقة ذات

أمزجة متضاربة. فقد تربتها يوماً غاضبة، وفي الآخر رزينة..

إن الرجل لا يستطيع الاستيقاظ كل يوم ليجد أمامه زوجة

مختلفة.. ويجب أن اعترف أنني أجد هذا تحدياً مثيراً للاهتمام.

بدا السرور على الجدة تينا:

- جيد.. فهي تتطلب تفهماً أكثر من غيرها كما تحتاج الى

بعض الحزم، لكنني أرى أنها بين أيدٍ عطوف. والآن.. أأدبك

أخباراً؟ حدد ساشا وفتيات يوم الزفاف الذي سيقام في الأسبوع

المقبل. لقد عارض والدك، في البداية، فقد أرادهما أن يتربنا

على الأقل حتى تعودا من شهر العسل. لكن بعد الضغط

رضخ. وافترض أن ابلاغكما قبل يوم أو يومين من انتهاء شهر

الى منفاها. فجلست صامتة، على وجهها تعابير الرزانة، تحاول التفكير بكل فكرة على حدة وصولاً الى حل لهذا الوضع الذي أضحي أكثر وأكثر أشد وأصعب. أثرت أخبار جدتها على امكانية تحررها.. فلا بد أن يد أبيها، بعد أن مضى قدماً في ترتيبات زواج ساشا، مقلولة الآن. والغاء الزواج في مرحلة متأخرة كهذه سيسبب التعاسة لأختها والاذلال لكرامة عائلة بيرتاكس.. لذلك، فالخلاص ليس ممكناً الآن.. وستبقى المشكلة لكن حتام؟

حين حاول تيغر مساعدتها في السير عبر الممر الموصل الى القيلا.. نفرت منه كارهة لمسته.. وصلت إليه رسالة ثورتها وقد بان ذلك من خلال نبرة صوته حين أوقفها قرب الشجيرات الشائكة قائلاً بيروود قاطع:

- إنني أستتج أن طريقي في معاملتك كانت غير صائبة. ظننت أن الصبر هو ما أحتاج إليه.. وقلت لنفسي إن هذه الطفلة ما إن تبعد عن أبيها وتسامحه حتى تتطور وتصبح امرأة ناضجة. لكن مع مرور الأيام أصبحت أكثر عناداً وعدائية بل أشد مزاجية. حقاً بت أجد صعوبة في كبح اندفاع يحثني على أن أمددك على ركبتي لأنزل بك العقاب اللازم!

ثم شدها إليه بخشونة لم تختبرها منه فقد برقت عيناه بيروود وهما تطوفان على وجهها المتحدي، وتحديانها أن تثور:

- حسناً.. ماذا تفضلين.. الصفع على مؤخرتك أم العناق؟ أنا صبرت على هذا الوضع لأننا وحيدان معزولان لكن عزلتنا سنتهي عما قريب، وعندها ستحيط بنا العائلة التي ستسائل

العسل ليس يمزعج لكما، لكنه اشترط ألا تعرفا حتى اللحظات الأخيرة.. وسيرسل لكما رسالة قبل يوم من موعد الزفاف لاستدعائكما للحضور. وقد جعلت زيارتكما لي اليوم إرسال الرسالة غير ضروري. لقد انتهت كل الترتيبات، وأرسلت الدعوات، وكادت تنتهي ترتيبات الزواج.. أليس مثيراً لإجراء عقدتي زواج في شهر واحد؟ أعتقد يا اليكس أن والدك يشعر بالارتياح والسعادة، فمسؤولية السيطرة على ابنتين متمردتين أمر صعب. وأنت يا كونت، يجب أن تكون سعيداً لأن مستقبل ابن عمك قد استقر.. إن زواج ابن خال وابن عمه من شقيقتين لترتيب رائع.. إنه مفيد جداً.

مفيد! الفائدة كلها من جهة واحدة.. كان تيغر وقيثار معروضين للبيع، واعتبرهما والدها استثماراً جيداً.

أصبح مزاجها عكراً ومتقوقعاً وبقيت على مزاجها هذا حتى أن أوان رحيلهما، فجذبتهما جدتها جانباً وأظهرت نفاذ الصبر معها:

- لست أدري ما أستطيع فعله بك اليوم يا اليكس! كانت أخلاقك سقيمة. خاصة نحو الكونت الجذاب الساحر المهتم بك. بدأت ارتاب في أن الدلال أفسدك يا طفلي.. ألا تظهرين بعض التقدير لزوجك؟

التقدير على ماذا! لكنها تمكنت من الابتسام.. التقدير على أن والدها اشترى الكونت؟

حين أدار تيغر المركب في نصف دائرة كبيرة، استعداداً للعودة الى ذلك الشاطئ المستوحش، أحست بأنها سحينة تعود

عن هذه التصرفات . . وأنا أرفض كل الرفض أن أتعرض لملاحظات كالثي تقوهت بها جدتك .  
تقدم رأسه منها حتى أصبحت شفتاه على بعد سنتيمتر من شفثيها . . وتمتم :

- العجوز على حق . . أنت تدين تماماً كالراهبة الطاهرة . . وسيكون من واجبي أن أصحح هذا الوضع . وأعدك عندما تترك هذه الجزيرة يا عزيزتي، بأن أشيع فضول كل شخص يراك إذ ستكون نظرة واحدة الى وجهك المؤثر، كافية للتأكيد على أنك اختيرت حلاوة الحياة التي هي مكافأة كل عروس شابة مطيعة !  
جعلها الذعر تلتجئ الى تصرفات التلاميذ الذين كانوا ومازالوا يتصرفون تجاه السلطة بفظاظة . . انتزعت نفسها منه وولت هاربة الى القبلا حتى وصلت الى غرفة نومها، التي أسندت على بابها ظهرها لتحل محل القفل المحطم . لكنه لم يتبعها . فانتظرت ما يقرب من نصف ساعة، حتى استسلمت تدريجياً الى الاسترخاء .

تمتمت لنفسها: حسناً اليكس! الآن . . أو . . أبداً . . فهذه ليست تهديدات عفوية . . بل هو يعني كل كلمة قالها . . وهذا يعني أن عليك ترك الفيلا الليلة على الأقل !  
ذرعت غرفتها بثوتر تفكر حتى أرهاقها التفكير . . لكنها في النهاية توصلت الى خطة هرب إثر الأخرى ثم عادت فصرفت النظر عن كل واحدة منها بعجز . فإذا حاولت الهرب بالسيارة فسيأتي راكضاً حالما يسمع صوت المحرك، هذا إذا كانت محظوظة فوجدت المفاتيح . . أما إذا ذهبت سيراً الى الكازينو،

فلن تجد مركباً يقلها وسيفتقدها قبل أن تصل الى البلدة، فكرت في طلب العون من ماريكا لكنها عادت فصرفت النظر عنها لأن هذا سيكون حملاً ثقيلاً على ضمير الفتاة، التي رغم تعاطفها معها، تشعر بواجب الإخلاص لمخدومها .

ثم تذكرت سرعة لحاق تيغر بها عندما رسا بالقارب . . أنسي المفاتيح في القارب السريع ؟ وكانت كلما أمعنت التفكير في الأمر كلما اقتنعت بأنه نسيها . لكن من الخطر التسلسل لثروتها . لأنها إن فعلت قد يتذكر تيغر ولن تجرؤ على هذه المخاطرة . . يجب أن تتصرف بحذر كأن تظهر سحرها خلال العشاء حتى لا يدرك ما تفكر فيه . . ثم يجب بعد انتهاء الوجبة وحلول الظلام، الذي سيوفر لها غطاء مناسباً، أن تختلق عذراً لتتركه فترة . وإذا كان تمثيلها مقنعاً، فقد تكون على مقربة من الياسة قبل أن يبدأ بالسؤال عن طول غيابها .

بدلت جهداً كبيراً في العناية بمظهرها . . فالثوب الذي سترتديه يجب أن يكون فاتناً لكن دون أن يعيق حركتها حين تركزض الى الشاطئ . وقد وقع اختيارها على تنورة واسعة بنية اللون وسترة مناسبة ذات أكمام طويلة تقي ذراعها من برد الليل . . فالسرعة هي أساس النجاح في فرارها وبما أنه لن يكون أمامها الوقت حتى تلف وشاحاً حول كنفها . لفت وشاحاً حريزاً حول خصرها كحزام، قد لا يرد عنها البرد كثيراً لكن سيمنعها عن عثها ورأسها . . وأحست بالفخر والذكاء المخارق حين التفتت أمام المرأة، ثم بدأت تسير، وكأنها ممثلة تتجه لتأدية دورها فوق المسرح .

وسرعان ما شرعت في التجربة. فقد دفع تيغر باب غرفتها ودخل. لينظر الى جسدها بعين الرضى. نظرة جريئة مليئة. . بماذا؟ . . بالترقب؟

ارتجفت داخلياً وأجبرت نفسها على الابتسام، وتحركت نحوه. . بدا عليه الرضى، واعترف بهذا:

- كنت أتوقع أن أجدك مقطبة مرتدية أبشع الثياب في محاولة لتبريد حماستي. . لكن كالعادة أدهشتني بظهورك الفاتن. ترى هل أسأت الحكم عليك مرة أخرى؟ هل أصبحت فجأة ناضجة وحكيمة راضية بما سيقع من أمر حتمي؟

تمسكت بحاجتها للدبلوماسية، وقاومت رغبة في الصراخ والخذش، فقالت بنعومة:

- المجادلة في أمر محتوم مضيعة للوقت. فبدلاً من مقاومة العاصفة، أردي معطفاً واثياً.

- أهذه هي طريقتك في الاعتراف بالاستسلام؟  
ضحكت غضباً:

- ربما. . أمهلني بعض الوقت تيغر.

ثم أسرت لبه تماماً حين اعترفت له بضحكة تخطف القلوب:

- قد تعتقدني غيبة. . لكنني في الواقع. . أحسن. . بالخجل.

ولم يلبث أن أمسك ذراعها بحنان ورافقها الى غرفة الطعام.



١٤ - جارهما القمر

أثناء تقديم العشاء، ذهلت اليكس بمدى غفلة تيغر عن الفخ الذي حضرته، وبلهفته لايتلاع الطعام. تناولوا الطعام على ضوء الشموع. . يتحدثان قليلاً بسبب انشغال اليكس بمحاولة تجنب البكاء، ورغبة تيغر بعدم استعجال ساعة النصر التي لاحت له وشيكة، وبقي قانعاً بالانتظار حتى تنتهي الوجبة، وتعود ماريجا الى منزلها.

هنأت اليكس نفسها على ادائها الجيد، فلولاه لما كان يجلس هكذا قبالتها كقط متخم، ناعس العينين، مستعداً لمشاركتها اللعبة لدى أول اشارة منها. لكن ملاطفة النمر وحدها لا تكفي فمن أين لها الشجاعة الكافية لجرحه؟

حين انتهت الوجبة، قدمت ماريجا القهوة، ثم نظفت الطاولة. . وبعد ذلك، بوقت غير طويل، أطلت ماريجا رأسها من الباب قائلة:

- عن اذنكما، سيدي وسيدتي، سأذهب الآن. إلا إذا كان هناك ما ترغبان. . ؟

قاطعها تيغر برغبة واضحة في أن يترك وحيداً مع زوجته الجميلة:

قطع سكون الظلام صوت مرير مثل بالانتهام. اخترقت كلماته قوقعة بأسها، وأرسلت الحرارة الى شرايينها في الوقت الذي راح غضبها يتصاعد. . . فقفزت من المركب ووقفت أمامه. . . وقالت تهمس همساً:

- أتجرؤ على دعوتي بالمنافقة! أنت يا من لم تتردد في الزواج مني قبل أن تقطع علاقتك بجانيت. . . أنت يا من تتحدث عن زوجة راغبة محبة، وأم لأطفالك، والجميع في اسبارطة يعرفون، أن كل ما تريده حقاً هو حصتك من ثروة أبي!

لمعت عيناه الذهبيتان في الظلام، تبعثان القشعريرة في النفس، وترسلان شرارات نارية تشبه شرارات نمر غاضب ناثر. . . أحست في داخله عنفاً لم تختبره فيه من قبل، فبدأت ترتد. . . لكنها ما خطت أكثر من خطوة حتى وثب الوحش الضاري غارزاً أصابعه الضارية في كتفيها وشدها الى الأمام بهزها بعنف حتى اصطكت أسنانها وحتى كاد يخلع رأسها من بين كتفيها. وفي الوقت نفسه كان ينثت كلمات مسمومة من بين أسنانه:

- أيتها المتوحشة. . . السليطة اللسان! هذه المرة تجاوزت حدك في تجربة صبري. . . وقررت أن أروضك!

أحست بالخوف يُقدم الي مساعدتها، خوف من هذا الغريب الشرس الذي حل مكان الطيِّع الاخلاق الصعب الاثارة. . . الكونت الذي كان يتحمل اهاناتها، بابتسامة شامخة من طيشها الطفولي حاولت بكل ما تملك من شراسة التخلص من قبضته، لكن حين اصطدمت محاولاتها بالفشل، لجأت الى

- لا شيء شكراً لك. . . تصبحين على خير. . . سنراك غداً.

إذن لقد حان وقت اللعب!

- هل نذهب الى الصالة طلباً للراحة؟

وقفت اليكس، اشارة الى موافقتها، ثم ترددت قليلاً، واتسعت عينها وكأنها تذكرت أمراً:

- أوه. . . ما أشد اعمالي كنت أشعر طوال العشاء، بالشك براودني. والآن عرفت السبب! لقد أشعلت سيكارة قبل أن أدخل غرفتي ولا أذكر أنني أطفأتها. هلا عذرتني سأصعد للتأكد.

- لا تزعمي نفسك. . . سأذهب أنا. . .

لكنها كانت في منتصف الطريق الى الباب، فقالت مصرة:

- لا. . . لن أتاخر أكثر من دقائق.

أقفلت الباب خلفها بسرعة، ثم ركضت بأقصى ما لديها من قدرة الى المدخل الخلفي ومنه الى الحديقة، فالمر الطويل، تبارك بعد نظرها لاختيارها خفياً منخفض الكعبين. اندفعت الى الامام دون أن تلقي نظرة الى الوراء. . . حين وصلت أخيراً الى المركب قفزت إليه، وأخذت تتحسس في الظلام بحثاً عن المفتاح الذي من دونه لن تقدر على تشغيل المحرك. فتشت خلال خمس دقائق، تشفق من لهفتها، غير قادرة على أن تصدق أنه غير موجود. . . ثم رمت بنفسها فوق مقعد المركب ترتجف من برودة اليأس.

- المنافقة. . . هو اسم المرأة اليكسندرا بيرناكس. . . أهنتك يا

جميلتي على تمثيلك الكذبة بصدق مذهل.

آخر سلاح دفاعي لها، بأن مدت مخالبها لتخدش خديه.  
- أيتها الشيطانة اللعينة!

رفع يده الى خده.. وما إن أصبح كنفها حراً حتى انتزعت نفسها منه وهربت في الظلام.

تداخلت الأشواك تحت تنورتها الطويلة، تعيق من تقدمها وتخبط خطواتها على العشب النامي وفوق الصخور والحجارة وأخيراً وصلت الى امتداد صلب من الرمال.. فشهقت أنفاساً حادة مؤلمة، ورفعت تنورتها لتركض كالممياء، لا تعرف ولا تهتم الى أين قد ينتهي بها المطاف.. إذ كان همها أن تضع ما تستطيع من مسافة بينها وبين الرجل الذي تسمع وقع أقدامه وراءها. كان الرعب يتصاعد في داخلها كأجنحة طير كاسر.. فجأة تعثرت وسقطت ففقدت بذلك لحظات ثمينة. أكد لها احساسها المدعور بأن تيفر دنا منها أكثر فأكثر حتى كادت تحس عندما وقفت بحرارة أنفاسه على مؤخرة عنقها.

صرخت بعنف حين أرسلتها ضربة عنيفة على ركبتيها جعلتها تنكب على وجهها فوق الرمال. ثم لم تلبث أن ألقتها يدان قاسيتان على ظهرها. كانت مذهولة حتى لم تستطع إلا التحديق بتحد في الوجه غير النادم.

صاحت بغم مليء بالرمول:

- حيوان! تصرفت معي بطريقة غير لائقة ولا عادلة. فهذه الحركة لا تليق إلا بلاعب المصارعة على حلبة المصارعة!  
- كما أن ردات الفعل العسلية لا تليق إلا بشفتي امرأة تنوي أن تفي بقسمها.

وضغط جسده على ساقيها، ثم أمسك بمعصمها وثبتها على الأرض حتى باتت عاجزة عن الحراك.

- والآن.. ستصغين لما لدي من أقوال!

أحست بالرجفة من تهديده، لكنها كانت عاجزة عن ابداء أية مقاومة إلا الكلام.

- تحدث ما شئت طوال الليل لكن أعلم أنني سأرفض بكل ساطة تصديق أي كلمة تقولها.

مارس أقصى درجات الضبط على النفس، وتجاهل تعليقاتها:

- فلنته بادئاً من أهم مسألة.. أعني جانيت. كنتُ وجانيت صديقين منذ الطفولة. وهذا ما جعلها، ربما تحس بأن لها الحق في إبداء الرأي في كل ما أفعل.. ولست أدري.. لكن ما أعرفه تماماً أنه لم يكن هناك في يوم من الايام أي انجذاب بيننا.

توقفت داخل نفس اليكس أجنحة الخوف عن الخفقان، وتسرّرت تصغي إليه، ولو على مضض.

- كان عليّ أن أعرف لؤمها وشوررها، أن أحلرك من ميلها لى التظاهر الدرامي والى ابداء تلميحات تخلو تماماً من لصحة.. كانت جانيت، في الاسابيع الأخيرة، أبعد الناس عن تفكيري. والآن، بعد أن قبلت زواجنا على أنه أمر واقع ستكتشفين فيها صديقة وفية، تناصر الصديق وإن كان ظالماً، لأنها كانت تجهل وضعنا قالت لي: «تمنّ عليّ الحظ الذي نيت به» وكانت تعني الحب، لا المال كما اعتقدت.



العريقة.. وخلال هذه السنوات لم أكسب فقط سمعة الخير، بل كمية محرجة من الذي تبين عليه كل هذه الاهمية: أعني المال. أنا لم أسخ وراء هذا الثراء، فقد كان جل همي الحفاظ على آثار وأبنية لا تعوض لمصلحة الأجيال القادمة. وكنت أتمنى لو عملت مجاناً.

أغلقت اليكس أذنيها عن الصدق الذي يطل من صوته، فقد كرهت أن تصدق أنها أساءت الحكم عليه الى هذه الدرجة من سوء... إنها ترفض أن تصدق... ورغم معاناتها من نظرتة الحادة.. استرخت، وكورت شفيتها على شكل ابتسامة، لتسأل بنعومة ساخرة:

- هل لديك المزيد من القصص الخرافية لتقصها علي؟ إذا لم يكن هناك شيء آخر فأطلق سراحي حتى أعود الى الفيلا. حقد تغير إليها فترة طويلة، بعينين اسودتا غضباً.. كان القمر الضخم يبحر خلال الغيوم، ليحمم بتوره الفضي الفتاة الممددة على الرمل، وكأنها ضحية تنتظر أن يوقع بها العقاب.. ويبدو أن المنظر أثر في تغير فقد ظهر الوميض الذي كانت تخشاه ويعدت الرعب فيها، وحين انخفض رأسه الأسود بطيئاً باتجاه فمها الذي ارتجفت شفتاه ذعراً:

- لم انتهِ منك بعد يا حبيبي.. ألم تسمعيني أعد أن أروض وحشيتك قبل أن نغادر الجزيرة؟

حين أطبقت شفتاه عليها أحست كأن عظامها ذابت فوق الرمال، تاركة وراءها جسداً ضعيفاً، عاجزاً تحت رحمة يدين تشعلان ناراً ملتهبه على كامل جسدها، حيث تجولتا طويلاً..

حين أطلقت اليكس صوتاً يدل على السخرية «هاه!» انتفض لكنه أكمل بخشونة:

- والآن فلنأت الى المسألة الثانية التافهة، الى المسألة التي جلبت عليّ القلق الكبير وهي المال، كنت أأمل أن أشرح لك هذه المسألة في ظروف ملائمة بل اعتقدت من شدة غبائي أنك بعد معاشرتي ستزول شكوكك. لكن، بما أنك مازلت متحاملة عليّ، وغير متجاوبة مع المنطق، أظن أن الوقت قد أزف لأقول لك إنني بعيد عن الفقر كل البعد، وإنني أستطيع مقارعة ثراء والدك، قرشاً بقرش!

فتحت أهدابها المليئة بالرمل، فكشفت عن اخضرار عينيها اللامعتين.. وقالت بازدراء:

- لا يد أنك تعتبرني بلهاء لأصدق كلامك! فست قسمت وجهه المتسامحة.. فلم يعتد على ما يبدو أن يتهم بالكذب.

- قد أعطيك البراهين متى شئت. وبدأ يسيطر على وجهه ملامح من يكره التطرق الى هذا الموضوع برمته، وقالت له:

- ما كان والدي ليخفي عني هذا الامر. طلبت من والدك شخصياً أن يتجنب هذا الموضوع...

لأنني لم أرغب في أن تعرفني.. لكنني على كل الأحوال ساحرره من وعده، ولك أن تسألني أي انسان تريدن وسترين أنه سيجيب عن سؤالك قائلاً لك إنني بعيد كل البعد عن الكسل، وإنني منذ سنوات عدة أعمل في مجال صيانة آثار مدينتي

لكن بعد عدة أنفاس عميقة استطاعت السيطرة على أعصابها وفتحتة، راکضة الى الداخل فإذا الغرفة فارغة، وكأنها غرفة راهب... لكن وبينما هي في الطريق الى طاولة الزينة أحست بوجوده القوي وكأنه جسدي.

كانت رائحة خفيفة من عطر الحلاقة تفوح من وراء باب نصف مفتوح يقود الى الحمام.. وكانت هناك أيضاً رائحة دخان سيكار.. وبينما كانت أصابعها المرتجفة تفتش بين الأشياء على طاولة الزينة، اصطدمت بأزرار قميصه الذهبية فانقلبت، وإذا بصورة النمر أمام عينيها. أبعدت بسرعة يدها وهربت الى الخزانة، تفتح الباب بحثاً عن السترة التي كان يرتديها حين أوقف السيارة. بدا لها التفتيش في جيوب سترته خطيئة لا تغتفر، لكنها أجبرت نفسها على البحث. فتفتشت بسرعة تدرك أن كل لحظة تمر تزيد من فرص ظهوره عليها غاضباً، مريراً.. متعطشاً للانتقام.

حين أطبقت أصابعها أخيراً على كومة المفاتيح، كان ارتياحها عظيماً حتى أنها استندت الى الجدار الى أن استعادت ما يكفي من قوة لتعاود هربها. وبينما كانت تركض من الدرج الى الردهة فالكراج، كانت تبارك حظها الطيب.. السحب قد اختفت، والبدر ألقى ما يكفي من نور جعل عليها عملية فتح أبواب الكراج سهلة. بعد لحظات، كانت توجه السيارة خارج الكراج، مرتجفة الجسد. محنية الهام فوق المقود الذي تمسكه بأصابع متجمدة خوفاً.. لقد استطاعت أخيراً أن تغلب على الكونت الذي طالما تغلب عليها في كل مناسبة.

ضحك بنعومة، متنعماً بسيطرته، مكتفياً بأسرها في سحره. لكن ضحكة النصر الصغيرة تلك كانت سبباً في إبطال سحره عليها.. فقد كانت كسوط لاذع أيقظ كرامتها، وأرسل طعنة نجلاء الى تفكيرها الهاجع.

دست النعومة التي تذيب العظام في صوتها:

- تيغر..! حبيبي! يا لي من بلهاء...

فتنفس الصعداء، ثم استرخت قبضته الآسرة عنها، وعانقها بحب، فراحت تسرّ في أذنه رسائل هامسة نادمة، وفي الوقت نفسه راحت تمد يدها خلف ظهره بحثاً عن شيء ما في الرمال تدافع به عن نفسها.. وكادت تشهق حين أطبقت أصابعها على حجر كبير.. ولم تمهل نفسها وقتاً لتفكر، بل أمسكته ودفعته بكل ما أوتيت من قوة على رأسه المحني فوقها.

نظرت إليه مذعورة مصدومة تحس بالغثيان ثم تسللت من تحت جسده بعد أن غاب عن الوعي وحملت قدميها وولت هاربة لكن هذه المرة نحو الفيلا.

كانت شهقات عظيمة تخرج منها بحدة وألم، وهي تجبر نفسها على عدم إلقاء نظرة الى الخلف أو على عدم التفكير في الجسد الممدد بعجز فوق الشاطيء. عليها أن تصل الى السيارة قبل أن يستعيد وعيه. فهذه آخر فرصة للهرب من وضع أصبح ميؤوساً منه الآن..

كانت الدموع تندفق على وجنتيها حين دخلت متعثرة الى الفيلا.. ثم ركضت الى غرفة نوم تيغر.. حيث أملت أن تجد مفتاح السيارة. كانت ترتجف حتى كادت تعجز عن فتح الباب،

ثم.. داست على المكايح فجأة على غير إرادة منها..  
لماذا لم يتبعها تغير بعد؟ إنه ليس ممن يعترف بالهزيمة.. إذن  
ما هو السبب المحتمل وراء عدم ظهوره؟

كانت مقدمة السيارة متجهة في الطريق نحو الكازينو.. بعد  
نصف ساعة تصبح هناك، ومع ذلك أوقفت المحرك. وشدت  
المكيح اليدوي، ثم نظرت متسعة العينين من النافذة وذلك  
بعدما صدمتها فكرة مرعبة. هل قتلت الضربة؟ أهو ممدد الآن  
على الرمال بسبب ضربة قاتلة وجهتها بيدها الى رأسه؟

وتأوهت، تغطي وجهها بيديها:

- أوه.. لا! أرجوك ربي.. لا

ما عادت تذكر فيما بعد كيف عادت الى الشاطئ، إذ كان  
كل ما تراه أمام ناظرها منظر جسد يتغير ممدداً دون حراك على  
الرمال حيث تركته. فانطلقت منها أدعية غير مترابطة وتصاعدت  
من شفتيها شهقات معدبة أثناء ركضها على الممر، ثم ما إن  
دنت منه حتى رمت نفسها على ركبتيها.

وراحت تبكي:

- تيغر!.. تيغر.. حبيبي! أرجوك كلمني.. لا تمت! لا

استطيع تحمل موتك!

ما عاد لديها فكرة عما قالته أو وعدت به خلال خمس  
دقائق بدت لها عمراً طويلاً. فقد راحت تمدده على ظهره تسمح  
الرمل عن شعره وعن جبينه، وتربت على خديه بأصابع  
مذعورة:

- تيغر.. حبيبي! أحبك كثيراً

فتشت في ذاكرتها عما تعرفه عن الاسعاف الأولي.. دست  
يدها داخل سترته بحثاً عن دقات قلبه، فأحست بالخفقات  
منتظمة تحت راحة يدها.. فتنفست الصعداء ثم راحت تبحث  
عن تعليمات أخرى فتذكرت «قبلة الحياة».. أو التنفس  
الاصطناعي.. فوضعت كلتا يديها حول وجهه وأخفضت فمها  
الى فمه.

ما إن تلامست شفتاهما، حتى ارتدّ الى الحياة نشيطاً  
مشيراً.. سحقتها ذراعه وألهبها شفتاه اللتان كانتا تتمتان  
بانتهامات خشنة وهو يلقيها على ظهرها فوق الرمال، ويتابع  
تأديبه لها بأروع طريقة ممكنة، على ألم القلب، والعذاب،  
والاحباط، والألم الذي سببه له خلال الاسابيع المنصرمة.

كانت مصعوقة، مقطوعة الأنفاس، مرتبكة كل الارتباك..  
لكنها أدركت أنه خدعها. ورغم ذلك غمرت بهجتها بنجاته كل  
شيء في هذه اللحظات المذهلة فقد طغت على عذاب الضمير  
الذي قاسته حين ظنته ميتاً وعلى فكرة أن تعيش ما تبقى من  
حياتها دون مداعباته المزعجة.. وقبل كل شيء دون حنانه  
الذي كان يوقف قلبها شوقاً إليه.. هذه اللحظات اقنعتها بأن لا  
أهمية لمستقبلها العملي ولحريتها، أو لقلبها من غير حبه. كل  
ما أرادته الآن، أن تحس بذراعيه حولها، قبلاته تغمر وجهها،  
وبكلماته تملأ عليها كيائها وتذيبه. في تلك اللحظات بالذات  
كانت تسمعها همساً في أذنيها.

- أحبك.. يا حبيبي! أوه.. يا كنزي! لقد كدت أفقد  
الأمل.. اخبريني ثانية ما قلته حين ظننتني لا أسمعك.. انظري

الى ذلك، أنني لا أريد حين تتذكرين ليلة زفافنا أن تزجريني  
لأنني تركتك تفضينها فوق شاطئ بارد غير مريح.

أحست بالارتجاف الذي سرى في عروقها، فشد ذراعه  
حولها.. وسألها بسرعة.

- أمازلت خائفة مني؟

دنت من قلبه تضع رأسها عليه وتؤكد له بتنهيدة طويلة:

- لن أخافك أبداً.. تيغر.

ضمها حتى أحست بأنها طفلة مدثرة بعباءة من حب.

وهزها كمن يهددها.. وهو يعدها:

- سأكون لطيفاً معك اليكسندرا. أنتقين بي؟

- دائماً.. والى ما لا نهاية يا حبيبي..

وترنحا معاً في طريق عودتهما الى القيلا. يجتازان الممر

الذي يعرفان أنه يقودهما الى الجنة، ومع ذلك توقفا مراراً

ليتعانقا، ويتداعبا، ويتحدثا.. ليزيلا عن نفسيهما كل أثر

للشكوك.

- لولا قلقي عليك، لكنت الآن على اليابسة في طريقي الى

المدينة. لقد خدعتني بادعائك الاغماء.. ولقد عانيت العذاب

الشديد ظناً مني أنك ميت.

ضغط عليها بشدة وقال ممازحاً:

- عظيم.. أنت تستحقين بعض المعاناة التي تكبدها

بسيك.. بعد أن ضربتني، صمعت للحظات، وحين تخلصت

من دواري، كان أول ما تبادر الى ذهني أن ألحق بك. وأرميك

في البحر أولاً، ثم أنفس عن غضبي بضربك على قفاك.

إلني بعينيك الصادقتين ودعيني أرى الحقيقة معكوسة فيهما حين  
تتكلمين.

نسيت كل ادعاءاتها ودست ذراعيها حول كتفيه تحس  
بعضلاته تتوتر تحت لمستها.. واعترفت له بصوت ضعيف

هامس:

- تيغر يا حبيبي أنا.. أحبك كثيراً حتى لا أكاد أستطيع

العيش بدونك.

لم تكن قط مكافأة الاستسلام لذيدة هكذا.. فقد احتواها

بين ذراعيه وكأنه يمسك بأثمن الأشياء، وأرقها وانتزع بعناقه

الرقيق قلبها من بين ضلوعها. كان عناقاً حدوده الإخلاص مدى

الحياة ختم على قلبها، ووسمها الى الأبد، بوسمة التملك..

باسم بيرتاكس.

لم يكن في السماء نجوم أكثر لمعاناً من عينيها، عندما كان

يرفعها قلماً على مصلحتها وصحتها كالعادة:

- هيا بنا حبيبي.. فلنعد الى القيلا.

مدت ذراعيها مفتوحتين وكأنما تريد معانقة كل ما حولها.

- لكن.. لماذا؟

كانت مسحورة بجمال الليل وبالقمر الفضي وبابتسامته

القاتنة. وبتمتات الأمواج الخفيفة فوق أقدام الشاطئ المتهد

بأغنية الحسد وبالفراش الرملي الدافئ الذي ضمهما بعناقه

حار..

هزها بلطف.. وقد تلاعبت ابتسامته تسامح على وجهه..

- السبب، حبيبي، هو أن الهواء أصبح أكثر برودة. أضيفي

الواجهة شجاعة ظاهرة، وأدركت أن وراء قناع الدعان، مهرج صغير بيكي.

فانضمت الى صدره أكثر:

- أوه تيغر.. يا لسامحك. أنت تعرفني نعم المعرفة..  
- أصبحت جزءاً مني ومن قلبي. معك أسمع كلمة واحدة وأفهم اثنتين. لا أسف إلا على ما أضعناه من وقت طويل.  
انحنى ليحملها بين ذراعيه بعد أن لاحت القبلا أمامهما..  
وتابع:

- أنا جشع جداً يا زوجتي الصغيرة. فإذا كانت الحياة ثابتة كرسوخ الجبال، لن أهتم.. لكن إذا كانت مراوغة كأطراف السمك اللامع في الماء، فكل لحظة ثمينة يجب أن نحسب لها الحساب.  
رفس بنفاذ صبر باب القبلا ففتحه.. ثم حملها وأدخلها الى البيت.

سمع لوقت طويل في أرجاء القبلا أصوات حركة وضحكات، ثم راحت الأنوار تنطفئ الواحد تلو الآخر.. ولم يسمع إلا للقمر المبتسم وحده أن يشارك العروسان خلوتهما السرية.



استدارت إليه ساخطة:

- لم تكن لتضربني..!

- أؤكد لك حبيبي أنني كنت سأنزل بك عقاب الضرب، لكنني حين فكرت في الموضوع ملياً وجدت، انك إذا كنت قادرة على تركي هكذا فمن الواضح أنك لن تحبيني أبداً وان الحلم الذي اعتنيت به منذ أن رأيتك لا وجود له، وان علي أن أتقبل نهائياً أنك لست الفتاة المناسبة لي.

وتوقف في منتصف الطريق الى القبلا، ليمسك بوجهها الصغير، الذي تكسوه الجدبة، بين راحتي يديه.

- شكراً لله علي عودتك اليكس..! عندما كنت ممتدداً هناك على الشاطئ، أصغني الى هدير محرك السيارة التي ستبعثك عني.. أحسست بأني أهبط الى جحيم لا سبيل الى العودة منه ثانية.. ثم.. عدت راكضة، تكيين فدا لي فجأة أن من العذاب يولد الفرح..

بعد أن قبلها ليتأكد من أنها حقيقة لا خيال.. قالت له:

- قلت.. الحلم الذي اعتنيت به.. منذ أن رأيتني..؟

- يبدو أنك تجددين صعوبة في تصديق هذا.

- وكيف أصدق، خاصة وأنتي ظهرت في المرة الأولى أمامك مرتدية أبشع الثياب، وواضحة قناعاً من الدهون على وجهي.. كنت كالمهرج.

- لكن هذا لم يشكل أي فرق لدي. اعترف أن أول ردة فعل بدرت عني عندما ظهرت، متحدية ساخطة، أمام أقرباتي المصدومين، كان الضحك أول اندفاع لي.. ثم رأيت خلف